أثر الانحراف الفكري على الفرد والمجتمع ووسائل الوقاية منه

إعداد الباحثان

الدكتور/ **فتحي محمود محمد عبد الرحمن**

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة نجران

والمدرس بكلية أصول الدين والدعوة بأسيوط جامعة الأزهر

والدكتور/ **خالد محمد سالم آل خرصان**

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة نجران

العدد الحادي والعشرون

للعام ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

الجزء الثاني

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٧م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة.

أما بعد

إن الفكر هو لب العقل وأساسه، وتقويمه واعتماده؛ فإن سلم صحت تلك الأفكار التي يحملها فتنتج بإذن ربها ثمارها اليانعة، وإن خبثت واستقت أفكاراً خبيثة وهدامة لم يُجنَ منها إلا العلقم، ولم يبلَ العقل بمثل بلوى الانحراف؛ فهو مسلك خطير من سلكه هلك ومن اتقاه نجا واستدرك. فالانحراف الفكري كالرمال المتحركة التي سرعان ما تلقي بصاحبها داخل جوفها، هل تراه يعيش بعدها؟ وصاحب الفكر المنحرف يتلقى أفكاره من مصادر خبيثة لتصادف هوى، فيصبح بأذيالها متمسكاً وبشأنها متعبداً؛ فهي نواة تبقى في ذهنه، وسرعان ما تنمو وتكبر مع مرور الزمن وتلقِّيه المستمر، وما ذلك إلا من الخلل الذي أحدثه في البداية وهو تلقي الأفكار من غير مصادرها الأساسية الأصلية، ثم ينعكس ذلك تماماً على عقيدته وواقعه ولم يكن هناك شيء أخطر على الأمة من الانحراف الفكري؛ فبه تحدث المنازعات والخلافات العقدية والفكرية والشقاقات السياسية والاقتصادية ويصرفها عن النظر لواقعها وحالها، ومنه تخرج أجيال غاية علمهم التعصب لآرائهم والعداء لمن خالفهم، وتربية من خلفهم على ما تعلموه وما أتقنوه، وله تُدَس المؤامرات والدسائس والخطط والنقائص قال – تعالى –: { الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ

بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً } (١).

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف التالية:

١- التعرف على المفاهيم المتعلقة بالعقل ٠
٢- بيان أنواع وأسباب الانحرافات الفكرية .
٣- إيضاح الشريعة للانحرافات الفكرية.
٤- إيضاح آثار وسبل معالجة الانحرافات الفكرية. ومقاومة الانحراف الفكري الخطير، المؤدي إلى التفجيرات والتطرف والخروج على ولي الأمر وتفكيك المجتمع.
٥- كيفية تلافي هذا الخطر وسبل الوقاية منه .

منهج البحث

وقد استخدمنا في هذا البحث المنهج التحليلي القائم على تحليل محتويات النصوص واستخراج المعنى منها، وإبرازه في صورة مبسطة، وصياغتها بصيغة موضوعية .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في: مقدمة، وأربعة مباحث، ثم خاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع .

أما **المقدمة**: فقد اشتملت على أهمية الموضوع، والهدف من الدراسة، ومنهج البحث وخطة البحث .

---

(١) سورة النساء – آية (١٤١).

وأما المباحث فقد جاءت مرتبة على النحو التالي:

- **المبحث الأول**: التعريف بالانحراف الفكري وأنواعه
- **المبحث الثاني**: أسباب الانحراف الفكري وعوامل انتشاره
- **المبحث الثالث**: النتائج و الآثار المترتبة على الانحراف
- **المبحث الرابع**: وسائل الوقاية وسبل حماية المجتمع من الانحـــراف الفكـــري في العصر الحاضر
- **الخاتمة** : وقد اشتملت على أهم نتائج البحث .

ونسأل الله أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا أنه ولى ذلك والقـــادر عليه وهو الهادي إلى سواء السبيل .

المبحث الأول

التعريف بالانحراف الفكري وأنواعه

بادئ ذي بدء قد خلق الله الإنسان سويا، وهداه صراطاً مستقيماً، وفي كل طريق مستقيم يتفرع منه طرق مائلة منحرفة ينحرف معها المرء لظروف قد ساقته إليه، فكما أن الخطى قد تنحرف، فإن الفكر السوي قد ينحرف عن جادة الصواب. وقبل الدخول في هذا الموضوع وكيف كان منهج الكتاب والسنة في حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري لا بد من بيان حقيقة الانحراف الفكري وضوابطه التي إذا تحققت وجد الانحراف الفكري، وهذا يقتضي التعريف بمعنى الانحراف الفكري والمراد به، ثم بيان ضوابطه.

أولا: تعريف الانحراف الفكري:

الانحراف الفكري مركب من كلمتين بتعريفهما يتضح المراد بإذن الله:

الانحراف في اللغة: هو الميل، قال الزبيدي: انحرف وتحرف: مال وعدل عن الطريق، والتحريف: التغيير(١)، وكلمة انحرف انحرافا لا تدل بذاتها في أصلها اللغوي على مدح أو ذم، فقد ينحرف الإنسان لقومه أو لعدوه، أو ينحرف عن العدو كما قال تعالى: { إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ }(٢)، غير أنه جرى استعمالها في الذم غالبا، فوصف المرء بالانحراف يكون بالذم غالبا. والانحراف في اللغة أيضا: من: " حَرَفَ عَنْهُ حَرْفاً: مالَ وعَدَل، وحَرَفَ الشيءَ عن وجهه حَرْفاً: صرَفَه وغيَّره، وحَرَّفَ الشيءَ: أماله، وحَرَّفَ الكلام: غيّره وصرفه عن معانيه، وانْحَرَفَ: مال، ويُقال: انْحراف مزاجُه: مال عن الاعتدال "(٣)،" وحَرْفُ الشيء: ناحيته وفلان على حَرْفٍ من أمره: أي ناحية منه كأنه ينتظر ويتوقع، فإن رأى من ناحية ما يُحب،

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ.

(٢) سورة الأنفال الآية (١٦).

(٣) المعجم الوسيط، قام بإخراجه عدد من العلماء، ص ٦٧، أشرف على طبعه: عبد السلام هارون، عن مجمع اللغة العربية، مطبعة مصر ١٣٨١هـ.

وإلا مال إلى غيرها، وحَرَفَ عن الشيء يَحْرِفُ حَرْفاً وانْحَرَفَ تَحَرَّفَ: عدل، وإذا مال الإنسان عن شيء يُقال: تَحَرَّف وانحرف، وتحريف الكلم عن مواضعه: تغييره، والانحراف عن الشيء: الميل عنه "(١)، و"الحَرْفُ من كُلِّ شيءٍ: طَرَفُهُ وشَفيرهُ وحَدُّهُ "(٢). وبهذا يتضح أن كلمة انحراف في اللغة تشير إلى الابتعاد عن المألوف والمتعارف عليه وبمعنى آخر الخروج عن المعيار الصحيح.

تعريف الفكر في اللغة:

فهو إعمال الخاطر في الشيء، قال سيبويه: ولا يجمع الفكر ولا العلم ولا النظر، قال: وقد حكى بن دريد في جمعه أفكارا، والفكرة: كالفكر وقد فكر في الشيء وفكر فيه وتفكر بمعنى تدبر ورجل فكير كثير الفكر(٣).

وقال الجوهري: التفكر التأمل، والاسم الفكر والفكرة، والمصدر الفكر بالفتح قال يعقوب يقال: ليس لي في هذا الأمر فكر: أي ليس لي فيه حاجة: قال والفتح فيه أفصح من الكسر(٤) وتحليل وتركيب وتنسيق والجمع أفكار و" فكر" في الأمر: اعمل العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها .

وقيل: الفكر إعمال النظر أو إعمال الخاطر في الشيء، والتفكر التأمل(٥). والفكر: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، ويقال: في الأمر فكر أي نظر وروية، وجمعه، أفكار(٦).

---

(١) لسان العرب لابن منظور: ١٢٩/٣، ط: دار صادر، بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ.
(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص ٧٩٩.
(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور: ٣٤٥١/٥ وما بعدها .
(٤) انظر: المعجم الوجيز، مجمع للغة العربية، ص ٤٧٨، ط: أولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
(٥) انظر: لسان العرب: ٦٥/٥، والقاموس المحيط: ١١١/٢.
(٦) المعجم الوسيط: ٦٩٨/٢.

والفكر: تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، ولي في الأمر فكر أي نظر وروية[١]. وفكر في الشيء أي أعمل الفكر فيه ليتوصل إلى حله أو إدراكه.

وقيل الفكري: منسوب للفكر، وهو أسمى صور العمل الذهني بما فيه من تركيب وتحليل وتنسيق، فكل ما أنتجه عقل الإنسان من رأي ناتج عن تأمل وتحليل وتركيب فهو فكر[٢].

الانحراف في الاصطلاح:

الانحراف بمعناه الواسع هو: " انتهاك للتوقعات والمعايير الاجتماعية، والفعل المنحرف ليس أكثر من أنه حالة من التصرفات السيئة " [٣].

وهو: " ضد الاستقامة التي أمر الله بها ورسوله، وهو الميل عن طاعة الله ورسوله، والوقوع في المحرمات فيما يتعلق بالعبادات، والمعاملات، والأخلاق [٤].

وبهذا يكون الانحراف هو: " ارتكاب أي فعل نهت الشريعة الإسلامية عن ارتكابه، أو ترك أي فعل أوجبت الشريعة الإسلامية القيام به، دون أن يكون للفعل أو للترك عذر شرعي مُعتبر " [٥].

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح: أحمد بن محمد الفيومي، ص ١٨٢، المكتبة العلمية – بيروت .

(٢) المعجم الفلسفي: جميل صليبا، ط: دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٨هـ.

(٣) مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث – العلاج الإسلامي ودور الخدمة الاجتماعية فيه: محمد سلامة محمد غباري، ص ٦، المكتب الجامعي، الإسكندرية ط: الثانية ١٩٨٩م.

(٤) وقاية الأولاد من الانحراف من منظور إسلامي، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب: سليمان بن قاسم العيد، المجلد ٤، العدد ٢٨، ص ٢٤٦، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض ١٤٢٠هـ.

(٥) رعاية الأحداث المنحرفين في المملكة العربية السعودية: عبدالله بن ناصر السدحان، ص ١٤، مكتبة العبيكان، الرياض ١٤١٧هـ.

وهناك من يرى أن الانحراف هو: " الخروج من جادة الصواب، والبُعد عن الوسط المعتدل، وترك الاتزان " (١).

وعلى هذا فالانحراف: ميل بقصد وربما كان ميلاً بغير قصد، فأما الذي مال بجهل فدواؤه أن يعلم، وأما الذي مال بشبهة، فواجبنا أن ندحض ونبطل هذه الشبهة التي علقت به، وأن نبين له الحق جلياً واضحاً حتى ينقاد إليه بكل ليونة ويسر وسهولة.

الانحراف الفكري في الاصطلاح:

يتصف مفهوم الانحراف الفكري بأنه: " مفهوم نسبي متغير، فما يُعد انحرافاً فكرياً في مجتمع ما لا يُعد كذلك في مجتمع آخر؛ وذلك لاختلاف القيم والمعايير الدينية والاجتماعية والسائدة " (٢).

ولذلك فقد عُرِّف الانحراف الفكري بتعاريف عدة، ومنها:

أنه " ذلك النوع من الفكر الذي يُخالف القيم الروحية والأخلاقية والحضارية للمجتمع، ويُخالف الضمير المجتمعي، وأهم من ذلك كله هو ذلك النوع من الفكر الذي يُخالف المنطق والتفكير السليم، ويؤدي إلى ضرب وتفكك وحدة وكيان المجتمع " (٣).

---

(١) الإسلام والشباب: محمد الزحيلي، ص ١٦٣، دار القلم، دمشق ١٤١٤هـ.

(٢) نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب: عبد الحفيظ بن عبد الله بن أحمد، محمد بن عبد الله بن حجر مشرف، ص ٧٠، أطروحة (دكتوراه) – جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الشرطية ٢٠٠٦م.

(٣) الأسرة ودورها في وقاية أبنائها من الانحراف الفكري: أحسن مبارك طالب، ص ١١٦، مركز الدراسات والبحوث بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض ١٤٢٦هـ.

وهو: " عدم اتساق أو تطابق الفكر الشخصي بانطباعاته، وتصوراته، وآرائه، مع مجموعة المبادئ والقيم العقائدية والثقافية، أو السياسات المستقرة في المجتمع " (١).

وفي نفس السياق عُرِّف الانحراف الفكري بأنه: " انتهاك للمعايير المتعارف عليها، ومحاولة الخروج على قيم وضوابط الجماعة " (٢)، فهو " ذلك الفكر الذي لا يلتزم بالقواعد الدينية والأعراف والنظم الاجتماعية، أي أنه ذلك الفكر الشاذ الذي يحيد بالمجتمع عن تقاليده الحميدة، ويُخالف تعاليم الإسلام الحنيف، والقيم السمحة " (٣).

وهناك من يرى " أن الانحراف الفكري مُرادف للتطرف والغلو الذي يترتب عليه العنف والإرهاب؛ لأن التطرف والغلو مُجاوزة حد الاعتدال وعدم التوسط، فالتقصير في التكاليف الشرعية والتفريط فيها تطرف، كما أن الغلو والتشديد فيها تطرف " (٤)، وبذلك فهو " الخروج عن الوسيطة والاعتدال في فهم الأمور الدينية

---

(١) استراتيجية تعزيز الأمن الفكري: متعب بن شديد بن محمد الهماش، ص ٨، دراسة مقدمة للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري تحت شعار (المفاهيم والتحديات) بجامعة الملك سعود ممثلة في كرسي الأمير نايف بن عبدالعزيز لدراسات الأمن الفكري في الفترة ٢٢ – ٢٥ جماد الأول لعام ١٤٣٠هـ.

(٢) الانحراف الفكري ومسؤولية المجتمع: علي بن فايز الجحني، ص٦٣، حولية كلية المعلمين في أبها، العدد ١٢، كلية المعلمين في أبها، جامعة الملك خالد ١٤٢٩هـ.

(٣) التخطيط الاستراتيجي لتحقيق الأمن الفكري بالمملكة العربية السعودية: سعيد علي حسن القليطي، ص ٥، دراسة مقدمة للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري تحت شعار: (المفاهيم والتحديات) بجامعة الملك سعود ممثلة في كرسي الأمير نايف بن عبدالعزيز لدراسات الأمن الفكري في الفترة ٢٢ – ٢٥ جماد الأول لعام ١٤٣٠ هـ.

(٤) مكونات مفهوم الأمن الفكري وأصوله: الباحثة د/ هيا بنت إسماعيل آل الشيخ، ص ٦، دراسة مقدمة للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري تحت شعار (المفاهيم والتحديات) بجامعة الملك سعود ممثلة في كرسي الأمير نايف بن عبدالعزيز لدراسات الأمن الفكري في الفترة ٢٢ – ٢٥ جماد الأول لعام ١٤٣٠هـ.

وتطبيقاتها، مما يُشكّل خطراً على نظام الدولة وأمنها الوطني بكل مقوماتها " (١).

ومن خلال التعريفات السابقة يتضح التالي:

أ. أن الانحراف الفكري يُخالف عقيدة المجتمع، وما يؤمن به من قيم وأخلاق، وما يسود فيه من ثقافة .

ب. أن الانحراف الفكري خروج عن الوسطية والاعتدال، فهو إما أن يتجه للغلو والتشدد في الدين أو يتجه إلى التفريط والتقصير في القيام بالواجبات الشرعية.

ج. أن المنحرف فكرياً يعيش في عزلة اجتماعية؛ لأن تصوراته وآراءه، وما يؤمن به من فكر تُخالف ما هو سائد بين أفراد المجتمع .

د. أنه سبب مهم من أسباب تفكك المجتمع وانحلاله، وهو خطر على النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي .

ه. أن الانحراف الفكري مُخالف للإسلام؛ لأنه لا يلتزم بما يدعو له الإسلام من الالتزام بمنهج الوسطية والاعتدال، وأداء الواجبات الشرعية، والبُعد عن المحرمات .

وبهذا يكون الانحراف ميل الفكر ومُخالفته لدين المجتمع وما يؤمن به من قيم وأخلاق، وما تسود فيه من ثقافة، وما تحكمه من أنظمة وقوانين، وانحرافه عن الوسطية والاعتدال باتجاه التطرف سواء في التشدد أو التفريط .

---

(١) نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في موجهة الإرهاب: عبد الحفيظ بن عبد الله، ص ١٧.

أنواع الانحراف:

والانحراف: كلمة صدرت بـــ (ال) وهـذه (ال) الاسـتغراق، أي: أنـوع الانحراف، وهي ثلاثة: الانحراف العقدي، ويليـه الانحـراف الفكـري، وبعـده الانحراف الأخلاقي، فالأول والثاني يدخلان – كما ذكر ابن قيم الجوزية وغيره من علماء الإسلام – في أمراض الشبهات، وأما الانحراف الأخلاقي فهو داخـل فـي أمراض الشهوات.

والانحراف في الدين نوعان [(١)]: انحراف فكري، وانحراف سلوكي.

أما الانحراف الفكري فهو خطأ في الإدراك والتصور، بحيث لا يرى المـرء الحق، أو يراه على خلاف ما هو عليه، وصاحبه يظن الصواب خطـأ، والخطـأ صوابًا، ويرى الحسن قبيحًا والقبيح حسنًا. وهذا النوع من الانحراف يـؤثر فـي الاعتقادات والمفاهيم، ويغير ويبدل في أسس الدين ومبادئه. أما الانحراف الثاني فهو انحراف ناشئ عن الشهوات والميل إليها، وهذا النوع من الانحـراف هـو ضعف في العزيمة والإرادة، يؤثر في الأخلاق والأعمـال، مـع بقـاء المبـادئ والمفاهيم صحيحة سليمة. وحسب تعبير السلف يسمى الانحراف الفكري انحراف (بدعة) ناشئ عن (شبهة)، أما الانحراف السلوكي فهو انحراف (معصية) ناشـئ عن (شهوة).

والنوع الأول من الانحراف أخطر من النوع الثاني؛ لأن انحراف الأفكـار والمبادئ يؤدي حتمًا إلى انحراف السلوك والأخلاق، كما أن صاحبها من النـادر أن يرجع إلى الحق لأنه يرى أنه على حق. وهذا هـو معنـى عبـارة السـلف المشهورة "البدعة أحب إلى إبليس مـن المعصـية لأن البدعـة لا يتـاب منهـا والمعصية يتاب منها". يقول ابن تيمية شارحًا هذه العبارة: " ومعنى قـولهم: إن

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بـن قاسم النجدي وابنه محمد: ٩٣/١٠ (مرض القلب)، دار عالم الكتـب للطباعـة والنشـر، الرياض ١٤١٢هـ..

البدعة لا يتاب منها أن المبتدع الذي يتخذ دينًا لم يشرعه الله ولا رسوله، قد زين له سوء عمله فرآه حسنًا، فهو لا يتوب منه مادام يراه حسنًا؛ لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيئ ليتوب منه، فمادام يرى فعله حسنًا وهو سيئ في نفس الأمر فإنه لا يتوب. ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة، بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق" [١].

وقد شملت جهود المجددين تصحيح الانحرافات في المجالين: الفكرية والسلوكية. ولكن سنقصر الحديث هنا على نماذج من جهودهم في تصحيح انحرافات الفكر والمفاهيم.

ما الذي يمكن وصفه بأنه انحراف فكري ؟

والجواب: أنه كل ميل عن الحق في أصول الدين.

أما ضوابط الانحراف الفكري فيمكن إيجازها في الآتي:

- كل فكر ورأي مخالف أو مناقض لنص الكتاب والسنة.

- كل تأويل للنصوص المتصلة بالاعتقاد لم يقره الأئمة من أهل السنة والجماعة في القرون الثلاثة المفضلة. وبهذه الضوابط يتحدد ما يمكن وصفه بالانحراف الفكري .

---

(١) المرجع السابق: ٩/١٠.

المبحث الثاني

أسباب الانحراف الفكري وعوامل انتشاره

إنه لا يمكن أن يكون رجلاً سوياً ثم يصبح منحرفاً، ولا نتصور أن فتاة باتت عفيفة فأصبحت متبرجة، ولا امرأة أمست طاهرة فأصبحت فاجرة زانية، ولا نتصور أن رجلاً أصبح مهتدياً فأمسى فجأة ضالاً، بل لا بد أن يكون لهذا أسباب، ولا بد أن يكون له خطوات.

فأسباب الانحراف الفكري كثيرة ومتنوعة ومن هذه الأسباب:

أولا: مجالسة رفقاء السوء:

إن كثيراً من الشباب حسبناهم مثالاً في الاستقامة والصلاح تتمنى أن تكون ذريتك كأمثالهم، تتمنى أن يكون إخوانك كأمثالهم، تتمنى أن تمتلئ الأمة بصلاحهم واستقامتهم، ولكن نفاجأ بأن منهم من تنكب الصراط، ورجع القهقرى، ونكص على عقبيه، وارتد مدبراً، وتغيرت أموره، وانتكست مفاهيمه، وتقلبت قناعاته، وأصبح يرى ما كان مكروهاً محبوباً، وأصبح ما يأنف منه يتودد إليه، وأصبح ما كان يستحي أو يأنف من سماعه يتفاخر به.

إن ذلك انحراف كان سببه رفقة تساهل بالجلوس معها وبمخالطتها، وبتفويت بعض الأمور ظناً منه أنها من الصغائر، وما زالت الصغيرة تدعو أختها، فاجتمعت كقشات جمعت فأضرمت، فأصبحت ناراً أحرقت سلوكه، وأحرقت استقامته، وعفافه، وطهارته، فبات فاجراً بعد أن كان براً، وأصبح مفسداً بعد أن كان صالحاً ولذلك لما تحدث بعض علماء السلف، فقال له رجل: إن هذه مسألة من المسائل اليسيرة والصغيرة، أو كما يقول بعض الناس: هذه مسألة قشور، وليست من مسائل اللباب، فغضب ذلك العالم، فقال: إنه ليس في الدين قشور ولا لباب، إن الله – ﷻ – قال: { إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً } [١]، إن المجالسة كما

---

(١) سورة المزمل، آية (٥).

بين ذلك النبي – ﷺ – لها أثر، إذ المرء يتأثر بجليسة، ويصطبغ بفكرته ومعتقده وسلوكه وأعماله، قال الله – سبحانه –: { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا } (١).

وقال – ﷺ –: (إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة) (٢).

ويقول الشاعر:

واحذر مصاحبة اللئيم فإنه يعدي ∴ كما يعدي السليم الأجرب

وقال حكيم: " أنبئنى عمن تصاحب أنبؤك من أنت "(٣) .

وقبل كل ذلك سوء التنشئة الاجتماعية حيث تعتبر الأساليب الأسرية السلبية مهيأة للاضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية والفكرية لدى الأبناء، ولعل من أخطر السلبية الرفض والقسوة والتدليل الزائد، ونقد الوالدين الدائم لتصرفات أبنائهم، والعقاب لأتفه الأسباب، وعدم التغافل عن الأخطاء مما يحدث شروخاً وشقوقاً وضعفاً في جوانب شخصية الأبناء يظهر انعكاسها في الفكر والسلوك مستقبلاً

---

(١) سورة الفرقان الآيات (٢٧ – ٢٩).

(٢) متفق عليه. رواه البخاري، في كتاب: البيوع، باب: في بيع العطار وبيع المسك. ط: دار ابن كثير، واليمامة، ط: الخامسة ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، ط: دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

(٣) انظر: الأخلاق: د/ أحمد أمين، ط: دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط: الثالثة ١٩٣ م.

ثانياً: فساد الفكر:

في البداية يكون فساد الفكر واختلال العلاقة بين الإنسان والناموس الكوني سواء كان الاختلال في علاقته بخالق الكون أم في منهج علاقته بالكون والإنسان وانحرافه عن الحق والكمال والخير. إن كل التجارب الحضارية تؤكد لنا عبر تطورها أن ثمة درجتين للانحطاط: الأولى درجة الانقلاب النفسي والذهني إلى الأدنى، الثانية هي درجة الانقلاب العملي والخلقي بناء على الانقلاب الذهني والنفسي المتدني فالتغيير الداخلي (فكريا ونفسيا) هو المرحلة الأولى في أي سقوط، كما أن تغييره إلى الأعلى والأدنى هو المرحلة الأولى في أي تقدم[١] .

قال الله تعالى عن مرحلة (الانهيار الفكري) و(الظلام العقدي): { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[٢] فهي مرحلة (انغلاق فكري) و(فساد منهج)، ولعل الآية الأخرى توضح هذه الحقيقة الحضارية على نحو أكثر مباشرة

{ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ }[٣].

قال تعالى في آية أخرى: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }[٤].

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية: ١٧٤/٢١، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

(٢) سورة البقرة الآيتان (٦، ٧).

(٣) سورة النحل الآيتان (١١٢، ١١٣).

(٤) سورة الأعراف الآية (٩٦).

وفي آية أخرى يوضح الله تعالى مرحلة (الفكرة) كمنطلق للحياة على الأرض، وقيام الحضارة (على أساس المنهج القويم) وسقوط أخرى (على أساس الانحراف الفكري): { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } (١).

وقد يأتي الضلال الفكري عن طريق اتباع أهل الأهواء والشبهات من طواغيت البشر، أو المذاهب الفكرية المنحرفة أو المترفين:

{ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا } (٢).

{ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } (٣).

وتقدم لنا السنة النبوية عددا من الآثار التي تتصل بهذه المرحلة الأساسية في سقوط الحضارات، حيث ينغلق الفكر، ويختلط الحق بالباطل، وينتشر الفكر العقلي والانحراف العاطفي، ويسود الهوى، وتروج النظريات الفاسدة ويتحزب الناس أحزابا بين أدعياء دجالين، ويحسب كل منهم أنه على الحق، وتزين لهم أعمالهم، وتختلط الأوراق، وتضيع المعالم الكبرى في المسيرة الحضارية. ففي حديث أبي هريرة يقول الرسول – ﷺ –: « والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل، ولا يدري المقتول على أي شيء قتل » (٤).

---

(١) سورة طه الآيتان (١١٣، ١٢٤).

(٢) سورة الأحزاب الآيتان (٦٧، ٦٨).

(٣) سورة سبأ الآية (٣٤).

(٤) رواه مسلم، كتاب: الفتن:١٨/٣٥، حديث (٢٩٠٨)، وراجع: مجلة البحوث الإسلامية: ١٧٥/٢١.

وفي حديث جرير أن النبي – ﷺ – قال: « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض »(١).

والكفر هنا كفر فكري أي ضلال وانحراف، وقد يظن صاحبه معه أنه مسلم، أو أنه على الحق، مع أنه يرتكب الكبائر، وينتهك أساسيات الإسلام ولربما يفعل ذلك باسم الإسلام !!

وفي مرحلة التيه الفكري هذه تظهر طبقة من المثقفين المضلين (المتشدقين) الذين يخدعون الناس بنوع من الكلمات المبهمة ويقودونهم – بهذه الكلمات الرمزية والشعارات المدوية – إلى الهاوية، فعن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك – م– عن رسول الله – ﷺ – قال: « سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه، هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء من قاتلهم كان أولى بالله منهم. قالوا: يا رسول الله ما سيماهم؟ قال: التحليق »(٢).

إن التمزق الفكري الداخلي للأفراد أو للأمم هو أول داء تصاب به، وعن طريق هذا الخلل الفكري تدخل صنوف الخلل السلوكية نتيجة حتمية لخلل الفكر؛ لأن سلامة الفكر هي الضامن لسلامة السلوك، وهي السور الذي يحجز ويمنع، أو كما يقول أحد الفلاسفة: (إذا لم يكن الله موجودا فكل شيء مباح).

وكي تستطيع الحواجز القانونية أو عوائق التخويف الأخرى أن تقطع سبيل أي عطف القوانين، فإن هذه القوانين البشرية ستضعف وتضعف درجة أنها –

---

(١) سنن أبي داود، كتاب: السنة، ص١٢٣، ط: دار الحديث، حمص، سورية، ط: الأولى ١٣٩٤هـ.

(٢) رواه أبو داوود في سننه، حديث (٤٧٦٥)، وصححه الألباني، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

في مرحلة من المراحل - لكي يكون لها على الأقل تبرير الفشل وتغطيته لئلا تفقد حقاً من حقوق القرد وتغيراً من تغيير له عن هويته التي لا تقف عند حد !! (١).

ولهذا السبب الرئيسي عوامل فرعية متعددة داخل النفوس الإنسانية منها العوامل التالية:

١- الغرور بالنفس والإعجاب بالرأي:

فقد تلمع في نفس الإنسان بارقة من فكرة تمر في خياله أو توهمه، فيأتي الغرور بالنفس فيلبسها ثوباً لماعاً مزركشاً، فتحلو في نفسه وتزدان، ثم يتجسم توهمه بها حتى تصبح لديه فكرة ثابتة أو عقيدة راسخة دون أن يعالجها بالحجة والبرهان، والمناقشة المنطقية السليمة.

وقد يسعى مبشراً بها بين السذج وضعفاء التكفير والجاهلين، مزيناً حجته بزخرف من القول، أو مستخدماً قوة شخصيته أو قوة نفوذه، ثم يكون له مؤيدون وأنصار يتابعونه على ضلالته التي انخدع هو بها بعامل الغرور بالنفس والإعجاب بالرأي.

وقد نشأ في التاريخ فرق متعددة تحمل مذاهب فكرية باطلة وذلك بسبب بدعة واحدة من أمثال أو مجموعة منهم بعض الغرور بالنفس والإعجاب بالرأي، ثم كل منه ومن عوامل أخرى ضلالات موروثة، تشبث بها أجيال متلاحقة، بل من أجيال لتنظر منها إلا في ظروف معالجات فكرية وتقنية موثرة (٢).

٢- الجهل العام الذي يسمح بتقبل كثير من المفاهيم الباطلة:

فالجهل بالدين، وما يلحق به من ضعف العلم الشرعي، وقِلة الفقه، والجهل بدلالات النصوص وبمقاصد الشريعة " من العوامل المؤدية إلى ظهور الانحرافات، حيث أن البيئة الجاهلة أو قليلة العلم تُعتبر مكاناً خصباً لنمو وانتشار الانحرافات،

---

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية: ١٧٩/٢١.

(٢) صراع مع الملاحدة حتى العظم: عبد الرحمن حنبكة الميداني، ص ٣٦٥، ط: دار القلم، ط: الخامسة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

وتقع ممن يجهل الدين على وجهه الصحيح " (١).

وهنا نلاحظ أنه قد تشيع في مجتمع متخلف فكرياً أو ثقافياً أفكار باطلة محرفة عن منهج التفكير السليم، وتجد هذه الأفكار الباطلة قبولاً في هذا المجتمع، وذلك بسبب تخلفه العلمي، ثم يتطاول الأمد فتمسي هذه الأفكار عقائد قومية متوارثة، وتقاليد متَّبعة ثابتة، كأنها من الحقائق البدهية التي لا تقبل أية مناقشة فكرية أو أي تغيير.

ومن هذه المفاهيم الباطلة مفاهيم يلقيها بين المجتمع الجاهل ماكرون مضللون من شياطين الإنس، لهم مصالح وأغراض وشهوات خاصة من بث هذه الأفكار الباطلة، والخرافات والأوهام وتزيينها في نفوس القوم، وذلك ليكون لهذه الانحرافات والخرافات ثمرات ممتعة لأولئك الشياطين يستغلونها، ويستثمرونها، ويقضون شهواتهم وملذاتهم على مصائب القوم من مفاهيمهم الباطلة(٢).

ولهذا السبب عوامل فرعية متعددة داخل النفوس الإنسانية منها العوامل التالية:

أ- <u>أخذ العلم من غير أهله وترؤس الجهّال:</u>

إن الإسلام دين يدان به لله – ﷻ –، وهذا الدين لا يتم إلا بعلم مستقى من مشكاة النبوة؛ ولذلك فإن من الواجب على الإنسان أن يجتهد في اختيار من يأخذ عنه العلم؛ كما قال الإمام مالك: "إن هذا العلم دين، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم". فالعلم بكتاب الله وسنة الرسول – ﷺ – سبيله بذل الجهد في طلبه، والأخذ من أفواه العلماء الربانيين؛ المشهورين بالديانة، المعروفين بالستر والصيانة؛ الذين قد ارتقت في العلم درجتهم، وعلت فيه منزلتهم. ولا يكون العالم ربانيا إلا إذا

(١) إسهامات المسجد في مواجهة الانحرافات الفكرية والخلقية من منظور التربية الإسلامية: حسن ابن يحي بن جابر ضامري، ص ١٤٢، رسالة ماجستير – جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

(٢) صراع مع الملاحدة حتى العظم، ص ٣٦٥.

عمل بعلمه. قال ابن الأعرابي: " إذا كان الرجل عالما، عاملا، معلما، قيل له رباني، فإن خرم خصلة منها، لم يقل له رباني "، وكذلك يؤخذ العلم عن الأكابر؛ فقد قال عبد الله بن مسعود – ﷺ –: " لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، فإذا أخذوه من أصاغرهم وشرارهم هلكوا "، ولا يؤخذ عن مبتدع، ولا كذاب، ولا سفيه؛ كما قال الإمام مالك: " لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه يعلن السفه، وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا أتهمه في الحديث، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به "[١].

إن من أعظم ما تبتلى به الأمة، ويفرق كلمتها، ويشتت صفها أن يتصدى لإرشاد الناس، ودعوتهم، وتعليمهم أمور دينهم من لم يكن من الراسخين في العلم، أو كان صاحب هوى وبدعة؛ لأن مثل هذا يفسد أكثر مما يصلح. أخرج البخاري عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو بن العاص قال: سَمعتُ رسولَ اللهِ – ﷺ – يقول: (إنَّ اللهَ لا يَقبِضُ العِلمَ انتزاعاً يَنتزِعُهُ من العِبادِ، ولكنْ يَقبِضُ العِلمَ بقَبض العُلماءِ، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذَ الناسُ رُؤُوساً جُهَّالاً فسُئلوا فأفْتَوا بغير علمٍ فضلُّوا وأضَلُّوا) [٢] .

وهم العلماء المشهود لهم بسعة العلم، وصحة العقيدة، وسلامة المنهج، والتقوى والخشية من الله، وإذا تصدى للعلم والفتوى غير المؤهلين ممن هم قليلي العلم، أو من أصحاب المنهج السقيم، أو أهل الأهواء، فإنهم سيؤثرون على فكر العامة، وسيكونون سبباً لانحرافهم وفتنتهم .

---

(١) مقالات موقع الدرر السنية: ١٩٢/٣، (بترقيم الشاملة آليا) مجموعة من المؤلفين – dorar.net.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: ٣١/١، حديث (١٠٠)، ومسلم في صحيحه: ٢٠٥٨/٤، حديث (١٣).

ب- **التقليد الأعمى:**

من الملاحظ أن الإنسان ينشأ في بيئة من البيئات الاجتماعية فيكتسب منها معارف ومهارات وعادات وأخلاقاً كثيرة، ومن هذه المكتسبات ما هو حق، ومنها ما هو باطل، ومنها أيضاً ما هو صالح، ومنها ما هو فاسد، وبمقتضى نشوئه في هذه البيئة الاجتماعية يتكون لديه بدافع الأنانية خلق التعصب لأهله وعشيرته وقومه، والتعصب لجميع ما هو في بيئته من مفاهيم وعادات وأخلاق، لأنه يتصور أنه بتعصبه هذا يدافع عن كيانه الذاتي، ولكنه دفاع ليس في محله، إذ هو دفاع عن الانحراف. ولو أنه سمح لقواه العقلية المتجردة عن مؤثرات البيئة أن تبحث وتناقش وتميز بين الحق والباطل والخير والشر والصالح والفاسد، لوجد أن دفاعه عن ذاتيته إنما يكون بتقويمها وإصلاح عوجها، وهجر الموروثات الباطلة، والاستمساك بالحق منها [١].

وبالتتبع نلاحظ أن كثيراً من الناس ليس لهم فيما يستمسكون به من مفاهيم وعادات باطلة أية حجة، إلا أنها أشياء ورثوها عن أسلافهم من قومهم، فاقتدوا بهم وتعصبوا لهم وساروا على آثارهم دون بصر فيها أو نظر[٢].

ج- **الشكوك والشبه:**

من الأمور المفسدة للاعتقاد الشكوك والشبهات التي تعرض للإنسان وتتأصل في قلبه فتحرفه عن الحق، فقد كان هذا سببا واضحا في انحراف كثير من الخلق عن الحق قديما وحديثا.

إن الريب ضد الطمأنينة واليقين فهو قلق واضطراب وانزعاج كما أن اليقين والطمأنينة ثبات واستقرار ولذلك نجد المرتاب يتشكك في كل شيء أتى به الوحي، كما يتضح ذلك من القرآن الكريم، قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ

(١) مقالات موقع الدرر السنية: ١٩٢/٣، (بترقيم الشاملة آليا).
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا } (١) .

والمعنى: أن من في قلبه مرض وعمي قلبه عن المراد بذلك فيقول: ماذا أراد الله بهذا مثلا، وهذا حال القلوب عند ورود الحق المنزل عليها: قلب يفتتن به كفرا وجحودا، وقلب يزداد به إيمانا وتصديقا، وقلب يتيقنة فتقوم عليه الحجة، وقلب يوجب له حيرة وعمى فلا يدري ما يراد به (٢) .

د- **مجالسة أهل الأهواء والبدع:**

من أسباب فساد الاعتقاد مجالسة أهل الأهواء والبدع، وقد حرم الله على المؤمنين اتباع أهل الأهواء في أهوائهم، قال تعالى: { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } (٣) .

فالخائضون في آيات الله هم أهل الابتداع وأهل الأهواء اللذين تحرم مجالستهم وينبغي البعد عن القعود معهم. وقد أدرك السلف خطر مجالسة أهل البدع والأهواء وحذروا منها، وكانوا قدوة في اجتنابها، قال ابن خويز منداد(٤): منع أصحابنا الدخول إلى أرض العدو ودخول كنائسهم والبيع، ومجالسة الكفار

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٦)، وانظر: مجلة البحوث الإسلامية: ٢٧٩/٧٧.

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ابن القيم: ١٥/١، ط: دار المعرفة، بيروت ١٣٩٥هـ. وانظر: مجلة البحوث الإسلامية: ٢٧٩/٧٧.

(٣) سورة الأنعام الآية (٦٨)، مجلة البحوث الإسلامية: ٢٨٠/٧٧.

(٤) ابن خويز منداد: هو محمد بن أحمد بن عبد الله خويز منداد المالكي، العراقي. فقيه، وأصولي صاحب أبي بكر الأبهري. قال القاضي عياض: وقد تكلم فيه أبو الوليد الباجي. وقال: لم أسمع له من علماء العراقيين ذكراً. من تصانيفه: كتاب كبير في الخلاف، وكتاب في أصول الفقه، واختيارات في الفقه، توفى سنة ٣٩٠هـ.
ينظر: ملاحق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية: ٨/١، (بترقيم الشاملة آليا)

وأهل البدع، وألا تعتقد مودتهم ولا يسمع كلامهم ولا مناظرتهم. وقد قال بعض أهل البدع لأبي عمران النخعي: اسمع مني كلمة؟ فأعرض عنه وقال: ولا نصف كلمة. ومثله عن أيوب السختياني وقال الفضيل بن عياض: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه، ومن زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها، ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة، وإذا علم الله – ﷻ – من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له، فبطل بهذا كله قول من زعم أن مجالستهم جائزة إذا صانوا أسماعهم [١].

٥- **الإعجاب بالكفار والتشبه بهم:**

" من العوامل المؤدية لظهور الانحرافات وانتشارها: التشبه بالكفار واتباع سنتهم " [٢] .

فالإعجاب بما عند غير المسلمين من أفكار وقيم وعادات وتقاليد، واستحسانها وربطها بما لديهم من تطور في مختلف العلوم الدنيوية، أثّر في نفوس البعض، مما حدا بهم إلى مجاراتهم والتشبه بهم، وتقليدهم في سلوكهم، وأساليب حياتهم المختلفة، إعجاباً بهم وتأثراً بما وصلوا إليه من تقدم وتطور، واعتبار ذلك هو الأسلوب الصحيح والسلوك الحسن، فكان ذلك عامل من عوامل الانحراف الفكري الذي أثر في المجتمعات الإسلامية، وأفقدها الثقة بما لديها من موروث حضاري، وزعزع قناعات أفرادها بعقيدتهم ودينهم. وكذلك القول على الله بغير علم ومن صور القول على الله بغير علم التي هي من أسباب الانحراف في الاعتقاد ما أشار إليه ابن القيم بقوله:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٣/٧، دار الكتب المصرية، ط: الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

(٢) إسهامات المسجد في مواجهة الانحرافات الفكرية والخلقية من منظور التربية الإسلامية، ص ١٥٣.

" ويلي ذلك في كبر المفسدة القول على الله بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله ووصفه بضد ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، فهذا أشد شيء منافاة ومناقضة لكمال من له الخلق والأمر " (١).

وكثير من صور الانحراف الفكري الواقع في هذا الوقت ممن يلوون أعناق النصوص، أو يتأولونها على غير وجهها إنما هو قول على الله بغير علم.

وبهذا يتبين أن القول على الله بغير علم من أسباب الانحراف الفكري التي بينها الله في كتابه وحذر منها، وبه تتضح أهمية اجتناب هذا السبب الخطير والتحذير منه.

ثالثا: الإعلام ذو التوجهات المُخالفة لعقيدة الإسلام:

أن الفكر المنحرف كان في الماضي متقوقعاً ومنطوياً على نفسه إلا أنه صار يغير من أشكاله، فقد كان في السابق توجد جماعات معينة وكان الشاب يرتبط بها ارتباطا عضوياً ويتعلق برموزها، أما الآن فأصبح التجنيد ذاتيًّا بحيث يستطيع الشاب عن طريق الإنترنت وغيره أن يجند نفسه إذا اقتنع بأفكارها وأن يتدرب كذلك عن طريق الإنترنت وأن يكوّن خلية مع من يوافقه الفكر، فالانحرافات الفكرية أصبحت أقرب إلى الظاهرة منها إلى التنظيمات. إن " وسائل الإعلام تسهم بنصيب كبير في الانحراف الفكري خاصة إذا كان المشاهد مولعا بالتقليد، فهو يحاول تقليد ومحاكاة ما يشاهده على شاشة التلفاز، وما يعرض على هذه الشاشة في بعض الأحيان يناقض القيم والمعايير الدينية والاجتماعية التي تحكم الفرد ويتصادم معها، مما يوجد خللاً في المنظومة القيميّة له، فيؤدي ذلك في النهاية إلى الانحراف وما لا تحمد عقباه " (٢) .

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيم الجوزية، ص ١٠٠، تحقيق: علي حسن عبدالحميد، دار ابن الجوزي، ط: الثانية ١٤١٧هـ.

(٢) انظر: دور المؤسسات التربوية في الوقاية من الفكر المتطرف: تيسير بن حسين السعيدين، ص ٣٦، مجلة البحوث الأمنية، المجلد ١٤، عدد ٣٠.

إن ما يُعرض في بعض وسائل الإعلام الفاسدة من خلال البث الفضائي، وعبر القنوات المختلفة، والإنترنت، والوسائل الإعلامية المسموعة والمقروءة من مواد وبرامج تُخالف ما يؤمن به أفراد المجتمع من عقيدة، وتُصادم ما لديهم من قيم ومبادئ مُستمدة من دينهم، وثقافتهم الإسلامية، قد يُشكك الناس في عقيدتهم، ويُفقدهم الثقة في ثوابتهم، ويُفسد عليهم دينهم، فيكون بذلك وسيلة للانحرافات الفكرية والسلوكية. وهو من أكثر الوسائل استخداماً، ومن أخطرها؛ وذلك لمن يحمله من قوة التأثير وسعة الانتشار، ومُخاطبة جميع فئات وطبقات المجتمع .

فعمل ذلك الإعلام من خلال قنواته المختلفة " المسموعة، والمرئية، والمقروءة " على نشر الأفكار والعقائد المنحرفة، وبث الاتجاهات الفكرية المخالفة للإسلام، ليصبح بذلك المسلم تحت وطأة إعلام يوجه أفكاره، ويُصيغ سلوكياته، فاتسعت الفجوة بين ما يعتقده ويؤمن به من دين وقيم، وبين ما يفعله، متأثراً بما يراه ويسمعه من ذلك الإعلام المسموم .

رابعا: التعصب الفكري:

في اللغة جاء " العَصَبِيُّ: من يُعين قومه على الظلم، أو من يُحامي عن عصبته ويغضب لهم ويُقال: رجلٌ عصبيٌّ: سريع الانفعال، والعَصَبيَّةُ: المحاماة والمدافعة عمَّن يلزمك أمره، وعَصَبَةُ الرجُل: بنوه وقرابته لأبيه، أو قومه الذين يتعصَّبون له وينصرونه " (١).

" وتَعصَّبَ بالشيء واعتصب: تَقَنَّعَ ورَضِي، والتَّعَصُّبُ: من العَصَبيةُ، والعَصَبيَّةُ: أن يدعو الرجلَ إلى نُصرةِ عَصَبَتِهِ والتألُّب معهم على من يُنأوئُهُم ظالمين كانوا أو مظلومين، والعَصَبيُّ من يعين قومه على الظُّلْم "(٢). والفكري: مشتق من الفكر، وسبق الحديث عنه.

---

(١) المعجم الوسيط، ص ٦٠٤.

(٢) لسان العرب: ٩/ ٢٣٣.

وهو مصطلح حديث يُقصد به " المغالاة في التشبث بالرأي والإصرار عليه، أو بالأفكار والمعتقدات، حتى لو كانت خاطئة، أو نتيجة عدم فهم أو وعي حقيقي بالمضمون الكامل خلف تلك المعتقدات " (١).

وهُناك من يرى أن التعصب الفكري يعني " التطرف في الرأي، أو التعصب لحكم اجتهادي ليس له دليل قاطع في ثبوته أو دلالته " (٢).

وهو: " التحيّز في رأي معين ومُساندته بغض النظر عن قوته، أو قوة مرجعيته وصلاحيته، وعدم الاعتراف بالرأي الآخر، وما يترتب عليه من التناحر مع المخالفين، والترويج للرأي المتَعَصَب له، بل اتهام المخالفين بالجهل والتخلف وعدم العدالة وسوء الفهم " (٣).

فالتعصب الفكري يقوم على الإصرار على رأي أو فكر دون استناد صحيح من الشرع، مما يُبعد صاحبه عن الحيادية، والعدل، والوسطية، والاعتدال في التصور والحكم، ومن يحمل هذا الفكر لا يرى إلا فكره، ويُلغي أي فكر آخر يُخالفه، فهو الوحيد الذي على حق وكل من يخالفه على باطل، وهو بذلك يضع عقله في دائرة ضيقة محكومة ببعض المعرفة، ولا يرى من ورائها من حقائق ومعارف، فهو لا يرى إلا ما يؤمن به من فكر، ويبحث عن التبريرات مهما كانت هزيلة ومُخالفة للدين، والعقل، والفطرة التي تؤكد رأيه وفكره .

ويُعد التعصب الفكري انحراف للفكر، فيقوم من يُصاب به " بالانغلاق الفكري، والانكفاء على الذات، ومصادرة آراء الآخرين المعارضين لذلك الشخص

---

(١) الإرهاب والشباب: محمد يسري دعبس، ص ١٣، ط: المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ١٩٩٦م.

(٢) الإرهاب: أحمد شلبي وآخرون، ص ٢٨، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م.

(٣) التطرف والإرهاب: أحمد شوقي الفنجري، ص ٤٦، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م.

الذي يسير على هذا النهج، والذي قد يصل به الأمر إلى درجة الرفض وعدم قبول مُناقشة الآخرين، أو الحوار معهم " (١).

فالتعصب الفكري ينشأ نتيجة الجهل، وجمود الفكر، فيغفل صاحبه عن رؤية مقاصد الشرع، وظروف الزمان والمكان، وتغيرات العصر، وفقه الواقع، فلا يقبل آراء الآخرين ولو ظهر أنها ذات برهان وحجة، بل يعمل على الزام الآخرين بفكره، ويجبرهم على الأخذ برأيه، ولو كان الصواب يجانبه، والحق يخالفه .

خامسا: اليأس والإحباط :

من أسباب الانحراف الفكري أن الفرد في حالة اليأس والإحباط يغلب عليه التشاؤم والشعور بالمرارة، كما ينخفض مستوى الروح المعنوية، وينعدم الأمل في المستقبل إضافة إلى نزعة إلى الشعور بالذنب والدونية والانتقاص من قدرة الذات، وجميع هذه مشاعر سلبية تجعل صاحبها فريسة سهلة للتأثر بأفكار ومعتقدات مشوهة ومتطرفة من أجل تغيير الواقع، فهو بسبب يأسه وإحباطه يتقبلها دون مناقشة أو نقد أو تمحيص.

سادسا: الفقر:

الجوع وقسوته، ومرارة العيش والحرمان، أسباب تجعل الروح حائرة، ومستعدة لفعل أي شيء في مقابل المال الذي ينتشلها من أرض الفقر والجوع، حتى لو اعتنق صاحبها أفكاراً منحرفة، تؤدي به إلى مهنة منحرفة، يبرر فكره أنها جائزة طالما أن غرضه أن يعيش ويأكل كغيره من الناس، وهكذا فالفقر من الأسباب التي يسهل على صاحبه الضعيف العزيمة أن ينحرف فكره بسببه(٢).

---

(١) دور المؤسسات التربوية للوقاية من الفكر المتطرف، مجلة البحوث الأمنية، ص ٣٥، العدد ٣٠، كلية الملك فهد الأمنية.

(٢) الانحراف الفكري: راشد الدوسري، بحث مقدم بجامعة الملك سعود بالرياض ١٤٢٩هـ.

المبحث الثالث

النتائج و الآثار المترتبة على الانحراف

هناك كثير من الآثار الناتجة عن الانحراف سواء كانت هذه الآثار على الفرد أو المجتمع:

أولا: **الغلو**:

الغلو: مجاوزة الحد.

وعرفه الحافظ ابن حجر – / – بأنه: " المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد " (١).

ومن المعلوم أن الغلو المقصود في الشرع له صور متعددة:

منها: الغلو في الأشخاص بتجاوز الحد في حقهم ورفعهم إلى ما لا يستحقونه من الأوصاف وكذلك الغلو في الأحكام والغلو في الأفعال التي هي مشروعة في الأصل.

ومن صور الغلو: ترك المباح أو المشروع تعبدا.، غير أن الحكم على عمل ما بأنه غلو يجب التثبت فيه، وينظر إلى العمل بدقة لئلا يحكم عليه بأنه غلو مع أنه سليم، ولكن الوسيلة إليه قد تكون من باب الغلو فيقع الخلط من هذا الباب.

– <u>ومن صور الغلو الأخرى:</u>

أ– تفسير النصوص تفسيرا متشددا.

ب– تكلف التعمق في معاني التنزيل.

– <u>أن يكون الغلو متعلقا بالأحكام وذلك بأحد أمور:</u>

أ– إلزام النفس أو الآخرين ما لم يوجبه الله – ﷻ – تعبدا وترهبا.

ب– تحريم الطيبات التي أباحها الله – ﷻ – على وجه التعبد.

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر: ٢٧٨/١٣، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار الريان للتراث، القاهرة، ط: الأولى ١٤٠٧هـ.

ج- ترك الضروريات أو بعضها.

- أن يكون الغلو متعلقا بالموقف من الآخرين وذلك بأحد أمرين:

أ- أن يقف الإنسان من البعض موقف المادح الغالي الذي يوصل بشرا ما سواء كان فردا أم جماعة إلى درجة لا يستحقها كادعاء صفات الألوهية لبعض الصالحين والأولياء الذين ماتوا من القدرة على شفاء المرض أو ادعاء العصمة لشخص وجعله مصدر الحق.

ب- أن يقف الإنسان من بعض الناس أفرادا أو جماعات موقف الذام الغالي فيصم المسلم بالكفر والمروق من الدين أو يصم المجتمع المسلم بأنه مجتمع جاهلي [١].

خطر الغلو:

للغلو مخاطر عدة منها:

١- الخروج عن جادة الحق مع ظن الإنسان الغالي بأنه على الحق كما هو الشأن في أولئك الذين يدعون البشر مع الله أو من دون الله ويطلبون منهم ما لا يجوز طلبه إلا من الله كمغفرة الذنوب، ورزق الأولاد، ونحو ذلك.

وكما هو شأن الذين يتخذون الشفعاء الذين لم يأذن بهم الله، وكما هو شأن الذين يكفرون المسلمين بالكبائر ويغلون في العبادة، ويخرجون على جماعة المسلمين.

وهم الخوارج الذين قال فيهم الرسول - ﷺ -: « يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » [٢].

---

(١) الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص ٨٣، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م . وراجع: مجلة البحوث الإسلامية: ٧٧/٢٦٠.

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: والمؤلفة قلوبهم، رقم الحديث (٤٢٩٩)، ورواه مسلم في كتاب: الزكاة، رقم الحديث (١٧٦٢).

والشيعة – أيضا – فقد غالت بعض فرقهم في الإمام علىّ – ﷺ – حتى درجة الألوهية واعطوا هذه الصفات لأئمتهم .

٢- تفريق كلمة المسلمين وإضعاف شوكتهم على عدوهم، فالغلو الذي يترتب عليه قتال المسلمين وتكفيرهم من أعظم أسباب الفرقة والشتات والنزاع، مما تضعف معه شوكة الأمة.

٣- إيجاد رد فعل سيئ في واقع الأمة، فإن الغلو قد يحدث بعد التفريط كرد فعل عليه، ومعلوم أن الإرجاء نشأ في الأمة كرد فعل على غلو الخوارج.

٤- قد يترتب عليه استحقاق العذاب والوعيد الوارد على الغلاة بالنسبة للفرد الغالي.

وقد نهى الله – ﷻ – أهل الكتاب عن الغلو وتقليد الأمم السابقة فيه لما له من أثر عظيم في الضلال عن الحق والانحراف عن الصراط المستقيم، فقال سبحانه: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ } (١).

قال ابن كثير – / –: ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثر في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه(٢).

(١) سورة المائدة الآية (٧٧)، وراجع: مجلة البحوث الإسلامية: ٢٦٠/٧٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥٩٠/١، ط: مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط: الرابعة ١٤١٨هـ.

كما نهى عنه النبي – ﷺ – بقوله: « أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين » [١]، وهذا النهي عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال [٢].

ونهى رسول الله – ﷺ – عن الغلو فيه خاصة ورفعه فوق منزلته – ﷺ – كما فعلت النصارى بعيسى – عليه السلام – فقد روى البخاري أن رسول الله – ﷺ – قال: « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » [٣].

قوله: « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم » [٤] الإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه قاله أبو السعادات، وقال غيره: لا تطروني بضم التاء وسكون الطاء المهملة من الإطراء: أي لا تمدحوني بالباطل أو لا تجاوزوا الحد في مدحي.

قوله: « إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » [٥] أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية، وإنما أنا عبد لله فصفوني بذلك كما وصفني به ربي وقولوا عبد الله ورسوله.

وإنما أكد النبي – ﷺ – على هذا النهي في أكثر من موضع ومقام لما علمه في هذا الإطراء من وسيلة وطريق للغلو، ولعنايته – ﷺ – بحماية جناب التوحيد، وسد أبواب الشرك، ومع ذلك فقد سلكت طوائف من الأمة سبيل الغلو

---

(١) رواه مسلم: ٩٤٤/٢، والنسائي: ٢٦٨/٥، وأبو داود: ٤٣٥/٢.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية: ١٠٦/٢، تحقيق: ناصر ابن عبد الكريم العقل، ط: مكتبة الرشد، الرياض، ط: الرابعة ١٤١٤هـ.

(٣) رواه البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: واذكر في الكتاب مريم: ١٤٢/٤.

(٤) رواه البخاري، أحاديث الأنبياء، رقم (٣٤٤٥)، والإمام أحمد في مسنده: ٢٣/١، ط: المكتب الإسلامي، ط: الأولى ١٤١٣هـ.

(٥) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، رقم (٣٤٤٥).

حيث أبى عباد القبور إلا مخالفة لأمره وارتكابا لنهيه وناقضوه أعظم المناقضة، وظنوا أنهم إذا وصفوه بأنه عبد الله ورسوله، وأنه لا يدعى، ولا يستغاث به، ولا ينذر له، ولا يطاف بحجرته، وأنه ليس له من الأمر شيء، ولا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، أن في ذلك هضما لجنابه وغضا من قدره، فرفعوه فوق منزلته وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه، فسألوه مغفرة الذنوب، وتفريج الكروب، والعجب أن الشيطان أظهر لهم ذلك في صورة محبته – ﷺ – وتعظيمه ومتابعته [(١)]، وهذا الحال الذي صار إليه بعض المنتسبين للإسلام، يظهر حكمة عناية القرآن والسنة بالنهي عن الغلو لكونه من أعظم أسباب الانحراف عن الاعتقاد الصحيح.

ثانيا: التفريط:

والتفريط: هو الترخص الذي يجفو بصاحبه عن كمال الامتثال. وهو سبب من أسباب فساد الاعتقاد، ويظهر ذلك في باب الإرجاء ومنه ظن المسلم " بأن الإيمان هو نفس التصديق فلا تقدح فيه الأعمال، وربما أجرى على لسانه وأذنه كلمة طالما أهلك بها الخلق وهي قوله: (لا يضر مع التوحيد ذنب كما لا ينفع مع الشرك حسنة) قال وكيع مبينا أثر بدعة الإرجاء: أحدث هؤلاء المرجئة[(٢)]

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب، ص ٢٧٢ وما بعدها، تحقيق: زهير الشاويش، ط: المكتب الإسلامي، ط: الأولى ١٤٢٣هـ.

(٢) المرجئة: فرقة من الفرق الإسلامية، والإرجاء فى اللغة: على معنيين أحدهما: التأخير، والثانى: إعطاء الإرجاء، وإطلاق اسم المرجئة بالمعنى الأول على هذه الفرقة صحيح؛ لأنهم كانوا يؤخرون العمل على النية ويصح إطلاق هذا اللفظ عليهم بالمعنى الثانى لأنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة وقيل: الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة. دائرة معارف القرن الرابع عشر، العشرين: ٧٢٣/٨.

والجهمية[١]، والجهمية كفار، والمريسي[٢] جهمي وعلمهم كيف كفروا قال: يكفيك المعرفة وهذا كفر، والمرجئة يقولون الإيمان قول بلا عمل وهذا بدعة.

وقال الحميدي: سمعت وكيعا يقول: وأهل السنة يقولون الإيمان قول وعمل، والمرجئة يقولون الإيمان قول والجهمية يقولون الإيمان المعرفة، وصح عن الحسن أنه قال: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل " [٣].

---

(١) الجهمية: أصحاب جهم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة الذى قال بالجبر والاضطرار إلى الإعمال، وأنكر الاستطاعات كلها.

انظر: الملل والنحل للشهرستانى:٩٧/١، تحقيق: أمير على مهنا وعلى حسن فاعور، ط: دار المعرفة، بيروت، ط: السابعة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، الفرق بين الفرق للإمام عبد القاهر البغدادى، ص ٢٢١، تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، ط: مكتبة دار التراث، القاهرة.

(٢) المريسى: بشر بن غياث بن أبي كريمة، أبو عبد الرحمن مولى زيد بن الخطاب؛ هو بشر المريسي. كان من أعيان أصحاب الرأي، أخذ عن أبي يوسف، وبرع في الفقه، ونظر في الفلسفة، وجرد القول بخلق القرآن، وناظر عليه، ودعا إليه؛ وكان رأس الجهمية، أخذ عن الجهم بن صفوان. قال الشيخ شمس الدين: فيما أرى، ثم تبينت أنه لم يدرك الجهم. قال أبو النصر هاشم. كان أبوه يهودياً قصاراً. وتوفي سنة ثمان عشرة ومائتين. وهو الذي ناظر الشافعي بين يدي الرشيد، وقال له: ما تقول في القرآن؟، فقال له الشافعي: إياي تعني ؟ فقال بشر: نعم. فقال: مخلوق؛ فسلم من شره. وكان بشر مرجئاً، وإليه تنسب الطائفة المريسية، وكان يقول: إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر ولكنه علامة للكفر. وكان لا يعرف النحو ويلحن لحناً فاحشاً.

الوافي بالوفيات للصفدي (ت ٧٦٤هـ): ٩٤/١٠، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم: ١٤٠٢/٤، تحقيق: علي الدخيل الله، ط: دار العاصمة، الرياض، ط: الثالثة ١٤١٨هـ.

ثالثا: الابتداع

تعددت ألفاظ أهل العلم في تعريف البدعة مع اتحاد المعنى أو تقاربه، ومن أجمع تعاريفها قول الإمام الشاطبي: " طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى " (١). وأوجز منه تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية للبدعة بقوله: البدعة هي الدين الذي لم يأمر الله به ولا رسوله فمن دان دينا لم يأمر الله به ورسوله فهو مبتدع " (٢).

وقد ذم الله – ﷻ – في كتابه الابتداع في الدين وسماه تشريعا لم يأذن به الله فقال – سبحانه –: { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (٣). وقد أوضحت السنة النبوية خطر الابتداع في الدين بوصفه شر الأمور، وأنه يعني الضلال والهلاك، بقول النبي في الحديث الذي رواه مسلم وغيره عن جابر بن عبد الله قال: « كان رسول الله – ﷺ – إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته » (٤) ... الحديث وفيه يقول: « أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد – ﷺ – وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » (٥).

وقال – ﷺ –: « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة

---

(١) الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم الشاطبي: ٣٧/١، تحقيق: محمد رشيد رضا، ط: دار المعرفة، بيروت ١٤٠٢هـ.

(٢) الاستقامة: ابن تيمية: ٥/١، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ط: الأولى ١٤٠٣هـ.

(٣) سورة الشورى الآية (٢١).

(٤) صحيح مسلم، الجمعة، رقم (٨٦٧)، سنن ابن ماجه، المقدمة، رقم (٤٥).

(٥) رواه مسلم في كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم (١٤٣٥).

ضلالة » [١]. ولقد صدق واقع الأمة قول النبي – ﷺ – حيث لم يحدث فيها الضلال والانحراف الفكري إلا بسبب البدع في الدين، وكلما ازداد الناس من البدع في الدين ازدادوا ضلالا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. ولم يفسد على الأمة دينها شيء مثلما أفسدته البدع، ولم تتسع دائرة الانحراف عن الدين الحق إلا بسبب البدع " ولهذا قال أئمة الإسلام كسفيان الثوري وغيره: إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها، ومعنى قولهم إن البدعة لا يتاب منها: أن المبتدع الذي يتخذ دينا لم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسنا فهو لا يتوب ما دام يراه حسنا، لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيئ ليتوب منه أو بأنه ترك حسنا مأمورا به أمر إيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله، فما دام يرى فعله حسنا وهو سيئ في نفس الأمر فإنه لا يتوب. ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق، كما هدى – ﷺ – من هدى من الكفار والمنافقين "[٢].

ومما يؤكد خطر البدعة أن تعامل النبي – ﷺ – مع المبتدعة كان مختلفا عن موقفه من العصاة، ويوضح ذلك ما رواه البخاري في صحيحة عن عمر ابن الخطاب « أن رجلا كان يدعى حمارا وكان يشرب الخمر وكان يضحك النبي – ﷺ – وكان كلما أتي به النبي – ﷺ – جلده الحد فلعنه رجل مرة وقال: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به إلى النبي – ﷺ – فقال النبي – ﷺ –: لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله » [٣]. فهذا رجل كثير الشرب للخمر ومع هذا فلما كان صحيح الاعتقاد يحب الله ورسوله شهد له النبي – ﷺ – بذلك ونهى عن لعنه. وأما المبتدع فمثل ما أخرجه البخاري وغيره عن علي بن أبي طالب وعن أبي سعيد

---

(١) رواه أبو داود، رقم (٤٦٠٧)، واللفظ له، والترمذي، رقم (١٦٧٦)، وقال: حسن صحيح. وراجع: مجلة البحوث الإسلامية: ٢٦٦١/٧٧.

(٢) انظر: مجلة البحوث الإسلامية: ٢٦٧/٧٧.

(٣) رواه البخاري، في كتاب: الحدود، باب: ما يكره من لعن شارب الخمر. حديث (٦٣٩٨).

الخدري وغيرهما « أن النبي – ﷺ – كان يقسم فجاءه رجل ناتئ الجبين كث اللحية محلوق الرأس بين عينيه أثر السجود وقال ما قال، فقال النبي – ﷺ –: « يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وأظنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود »[(١)]، وفى رواية: « لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد لنكلوا عن العمل »، وفى رواية « شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه ». فهؤلاء مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وما هم عليه من العبادة والزهادة، أمر النبي – ﷺ – بقتلهم، وقتلهم علي بن أبي طالب – ﷺ – ومن معه من أصحاب النبي – ﷺ – [(٢)].

إضافة إلى ذلك أن الانحراف الفكري يترتب عليه ما لا يترتب على غيره في حياة الفرد وآخرته، فإن من أخطر صوره الانحراف العقدي المتمثل في الوقوع في الشرك الذي يترتب عليه حبوط العمل وعدم قبوله، ويترتب عليه تحريم الجنة واستحقاق النار، قال تعالى: { إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ } [(٣)].

ومن أمثلته التي لا تزال موجودة في بعض المجتمعات المنتسبة للإسلام التعلق بالأموات وصرف أنواع من العبادة لهم كالدعاء والاستغاثة والنذر والذبح وغيرها، ومن صور هذا الانحراف الواقع في هذا العصر، وقد اتسعت دائرة صوره وتعددت صوره، ولعل من أخطرها:

١- السعي لزعزعة مصادر المعرفة والعلم الراسخة في وجدان المسلم، وذلك باستبعاد الوحي كمصدر للمعرفة أو تهميشه وجعله تابعا لغيره من

---

(١) صحيح البخاري، كتاب، المغازي، باب، بعث علي بن أبي طالب، رقم الحديث (٤٠٩٤)، وراجع: مجلة البحوث الإسلامية: ٢٦٨/٧٧.

(٢) انظر: الفتاوى: ابن تيمية: ٤٧٣/١١.

(٣) سورة المائدة الآية (٧٢).

المصادر كالعقل والإحساس، والسخرية من الإيمان بالغيب واعتباره أساطير وخرافات، والسعي لكسر الحواجز النفسية بين الإيمان والكفر.

٢- غلو بعض شباب الأمة في التكفير وما ينتج عنه من أعمال العنف والقتل والتخريب.

٣- خلخلة القيم الخلقية الراسخة في مجتمعات المسلمين من الأخوة والإيثار والطهر والعفاف وحفظ العهود واحتساب الأجر، واستبدال ذلك بقيم النفعية والنظر للمصلحة المادية دون سواها، والنفع والتحلل والإباحية.

٤- رفع مصطلح الحداثة كلافتة إصلاحية بديلة لشعار التوحيد لهدم القيم والثوابت وتلويث المقدسات، وجعل ذلك إطارا فكريا للأعمال الأدبية.

٥- استبعاد مقولة: الغزو الثقافي، واستبدالها بحوار الثقافات؛ لتخدير الأمة، وتسهيل ترويج مبادئ الفكر العلماني.

٦- وصم منهج سلف الأمة في فهم الدين بالأصولية والتطرف والإرهاب الفكري.

٧- تمييع قضية الحلال والحرام في المعاملات والأخلاق والفكر والسياسة، ومحاولة فك الارتباط بين الدنيا والآخرة.

٨- الترويج الدائم للنظريات العلمانية الغربية في الاجتماع والأدب.

٩- ظهور الضعف في التزام أصول الدين في العلاقة الفردية مع غير المسلمين، ويتمثل ذلك في ضعف الولاء والبراء، وذلك بمحبة الكفار والثناء عليهم وتمجيدهم، والتشبه بهم في الهيئات وكثير من الأفعال التي تخالف الإسلام، وكذلك تجاوز الحد بالاعتداء على المستأمنين المعاهدين منهم.

١٠- ضعف الاعتقاد بوجوب الحكم بما أنزل الله، وتسويغ الحكم بغيره.

كما تظهر أهمية الموضوع من خلال ما يشاهد من سعي دعوب من ملل الكفر، ولا سيما من لها الغلبة والقوة المادية لصرف المسلمين عن الاعتقاد الصحيح والفكر السليم، ودأب في محاولة إبعاد المسلمين عن الدين الحق إلى أديان الضلال والغواية، وهي طبيعة مستمرة في الكفار.

تلك بعض الجوانب المؤكدة لأهمية الموضوع وضرورة العناية به[١].

(١) راجع: مجلة البحوث الإسلامية: ٢٣٣/٧٧.

المبحث الرابع

وسائل الوقاية وسبل حماية المجتمع

من الانحراف الفكري في العصر الحاضر

بادي ذي بدء إن حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري يعد من أهم جوانب الحماية التي ينبغي أن تتجه إليها الأنظار، ويعنى بها الباحثون، ويتصدى لها المسؤولون عن أمن المجتمع وسلامته.

ذلك أن صحة الفكر وسلامته وثباته على الحق من أهم الأمور المؤدية إلى استقرار المجتمع المسلم، والانحراف الفكري هو أخطر انحراف يقع في المجتمع المسلم .

وقبل البدء في الحديث عن الأساليب والوسائل الوقائية والعلاجية لا بد من بيان الأسس المنهجية التي لا بد من التزامها لمواجهة الانحراف الفكري والتصدي له حتى تكون هذه المواجهة مفيدة ومؤثرة بإذن الله .

أولا: الأسس المنهجية لمواجهة الانحراف الفكري:

أولا: الاهتمام بالدوائر التربوية:

إنه لمن المؤكد أن التربية الإيمانية هي الدرع الواقي والحصن الحصين ضد الانحراف الفكري، ولهذا كان القرآن لمدة ثلاث عشرة سنة يربي المسلمين تربية إيمانية، ويثبت العقيدة في قلوبهم حتى لا تزيغ قلوبهم لأفكار دخيلة، أو آراء تخالف هذه العقيدة، فقويت العقيدة في قلوبهم وحملوها للدنيا بأسرها تطبيقا لقوله تعالى: { قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ }.

" عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي " أي: على يقين مبين، بصحته، وبطلان ما عداه، وهذه شهادة من الرسول جازمة، لا تقبل التردد، وهو أعدل الشهود على الإطلاق، فصدق بها المؤمنون، وتبين لهم من صحتها وصدقها، بحسب ما مَنَّ الله به

عليهم " [١] فثبتوا على عقيدتهم، وتمسكوا بها، وحملوا مشعلها لجميع البشرية .

يقول الدكتور/ عامر الشهواني: " للتربية دور كبير في تحقيق الانسجام بين أفراد المجتمع والقضاء على أي صراعات أو اختلافات تهدد أمنه " [٢].

ولنا في رسول الله – ﷺ – أسوة حسنة، فما ساوم على عقيدته، ولا هان فيها، ولا تنازل عن جزء منها، مهما كانت المغريات أو قوة التهديد والقدرة على إنفاذه وقال حين ساومه المشركون على حياته وأرسلوا له تهديدا علي لسان عمه أبى طالب قال قولته المشهورة: «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته»[٣].

ومن هنا كان لزاما على جميع المربين آباء كانوا أو معلمين السعي الجاد والعمل المنظم لغرس عقيدة التوحيد في نفوس النشء المسلم وتلقينهم المبادئ الأساسية لدينهم، وأن يخطوا في قلوبهم الإسلام حكما وشرعة، ويعلموهم معانيه السامية من الحب والوفاء والبذل والعطاء والتسامح وعدم الحقد والحسد

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: ٢٥٨/١، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط: الأولى ١٤٢٣هـ..

(٢) انظر: مقالًا للأستاذ الدكتور/ عامر بن عبدالله الشهواني، بعنوان: مؤسسات المجتمع والأمن بين الواقع والطموح، ص ٧٦ بمجلة الأمن والحياة، إعلامية، أمنية، ثقافية، العدد ٢٨١ السنة الخامسة والعشرون، شوال ١٤٢٦هـ نوفمبر، ديسمبر ٢٠٠٥م، وانظر: بحثًا للدكتور/ ناصر بن عبد الله التركي، بعنوان: الوظيفة الأمنية للأسرة: دراسة تحليلية للمعوقات من وجهة النظر الشرعية، ص ٣٤، ٤٤ بمجلة البحوث الأمنية، مجلة دورية، علمية، محكمة، تصدر عن مركز البحوث والدراسات بكلية الملك فهد الأمنية، المجلد ١٥، العدد ٣٤، شعبان ١٤٢٧هـ سبتمبر ٢٠٠٦م.

(٣) السيرة النبوية للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير: ٤٧٤/١، تحقيق: مصطفى عبدالواحد ١٣٩٦هـ ١٩٧١م، ط: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، مجلة البحوث الإسلامية: ١١٤/٩٤.

والبغضاء للمسلمين، كي يحصنوهم فكريا بتحصينهم إيمانيا.

ولذلك فقد أولى الإسلام قضية التربية اهتماما خاصا لتحقيق الأمن الفكري وتحصين المسلم من كل ما يغزوه فكريًا من خلال الاهتمام بالدوائر التربوية المختلفة.

ودوائر التربية على النحو التالي:

أ- الأسرة ودورها في الأمن الفكري.

ب- المسجد ودوره في الأمن الفكري.

ج- المدرسة ودورها في الأمن الفكري.

أ. الأسرة ودورها في الأمن الفكري:

إن دور الأسرة في أمن المجتمع عظيم، فهي خط الدفاع الأول الذي يقف سدا منيعا في وجه الأشرار لكنها لا تستطيع القيام بهذا الدور الحيوي إلا إذا كانت مترابطة في كيانها متينة في علاقاتها الداخلية والخارجية. فعلى قدر ما تتمتع به الأسرة من ترابط وتماسك بين أفرادها على قدر ما تدرك الطريق السليم لتربية أبنائها ليكونوا أعضاء نافعين لمجتمعهم وأمتهم، وإن أسلوب الحوار الأسري الناجح بين أفرادها هو وسيلة ناجحة لتحقيق ذلك الترابط المتين. فالوالدان داخل الأسرة يحصنان أبناءهما من الغزو الفكري ومن كل ما يفسد عليهم دينهم ودنياهم وأخراهم قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }(١).

والمعنى: " أن من مهمة الأبوين وقاية الأبناء بالتأديب والتعليم وإجبارهم على أمر الله وترك ما لا يرضاه لتتحقق لهم النجاة من عذاب الله " (٢) لا شك أن تحقيق الأمن الفكري للأبناء وتحصينهم من الغزو الفكري خطوة في هذا الطريق

---

(١) سورة التحريم الآية (٦).

(٢) انظر: مختصر تفسير ابن كثير: ٦٤٨/٢، وتيسير العزيز الحميد للسعدي، ص ٨٧٤.

وهذا يعني الاهتمام بالأبوين برفع وعيهم وتثقيفهم بالحملة التي يشنها أعداء الإسلام على المسلمين؛ لتسميم أفكارهم، حتى ينجح الأبوان في تحقيق الأمن الفكري لأبنائهم.

فالمحافظة على الأمن الفكري للنشء المسلم هو الذي يحافظ على الفطرة السليمة التي خلق الله – ﷻ – الخلق عليها.

عن أبي هريرةَ – ﷺ – قال: قال النبيُّ – ﷺ –: « كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفِطرةِ، فأبَواهُ يُهوِّدانهِ أو يُنصِّرانِه أو يُمجِّسانِه، كمثَل البهيمةِ تُنْتَجُ البَهيمةَ، هل ترَى فيها جَدْعاءَ » [(١)].

« كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ » أي على ما ابتدأ الله خلقه عليه[(٢)] وفيه إشارة إلى قوله تعالى: { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا }.

والمعنى أن كل أحد لو ترك في وقت ولادته وما يؤديه إليه نظره لأداه إلى الدين الحق وهو التوحيد ويؤيده أيضًا قوله تعالى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ } فمن تغير كان بسبب أبويه إما بتعليمهما إياه، أو بترغيبهما فيه "[(٣)] .

فالحديث الشريف يحذر المربين من انحراف الناشئ عن فطرته ومن التردي في ضلالات النصرانية، أو خرافات المجوسية والوثنية والإلحاد أو كيد اليهودية وعنادها وكفرها [(٤)]؛ لأن كل ذلك يبعده عن الأمن الفكري ويوقعه في الانحراف الفكري والسلوكي وقد قال رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ –: « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام: ٣١٣/١ برقم (١٣٥٨)، ومسلم، باب: القدر، رقم (٢٦٥٨).

(٢) فتح الباري: ابن حجر: ٣٣٩/١٠.

(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع للأستاذ/ عبد الرحمن النحلاوي، ص ١٣٤، ١٣٥، ط: دار الفكر، ط: الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

(٤) المرجع السابق، ص ١٣٥.

يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ » [١]، فالحديث يدل على فداحة الخطب والخسران الكبير الذي يتحمله الأبوان إذا ضيعا الأبناء .

الدور الأكبر في إصلاح الفرد هو صلاح الأسرة، والأساس الأول في صلاح الأسرة هو صلاح الزوجين؛ ولذلك جاء الأمر للزوج أن يختار المرأة الصالحة ذات الدين والخلق؛ لكي يقوم الأبوان بتربية أبنائهما التربية الإسلامية الصحيحة بكل الوسائل التي توصل إلى ذلك؛ كتربية الجسم بالغذاء والنظافة، وتربية العقل بالفكر والتعليم، وتربية الروح بالطاعة والعبادة، تلقينا وقدوة؛ لأن القدوة التي ينشأ فيها الطفل هي التي تضبط تصرفاته وسلوكه واتجاهاته وأفكاره في مستقبل حياته " [٢] .

ولما كان للأسرة هذه الأهمية في حياة الأبناء كان لزاما على الوالدين أن يعلما بني:

أ- التأكد من صلاح الصحبة التي يلتقي بها الأبناء، ويخرجون معها؛ لأن الشاب سريع التأثر بأصحابه شديد الرغبة في أن ينسجم معهم ولا يشذَّ عنهم، فإن كانوا أخيارا انسجم مع أخيار، وتَطبَّع بطباعهم وتخلق بأخلاقهم، وإن كانوا أشرارا فالأمر واضح، والنتيجة أوضح ومن الحكم النبوية البالغة قوله – ﷺ –: عن أبي موسى الأشعري – ﷺ – أن النبي – ﷺ – قال: " إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة " متفق عليه، أما أن يترك للشاب الحبل على الغارب يخرج متى

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود، كتاب: الزكاة، باب: في صلة الرحم: ٥٢٩/١ برقم (١٦٩٢). مجلة البحوث الإسلامية: ١٢٠/٩٤.

(٢) انظر: المسؤولية الأمنية للمؤسسات الاجتماعية: أحمد عبد الكريم غنوم، ص ٥٧ بمجلة البحوث الأمنية، المجلد ١٥، عدد ٣٤.

شاء، ومع من شاء بلا رقابة من أب أو أم أو ولي فليس هذا من حسن التربية وتقدير المسئولية ورعاية الأمانة.

ب- تنظيم أوقات الأبناء وبرمجةُ استذكارهم مع إشعارهم بقيمة الوقت وأنه هو الحياة، وأن فواته من غير منفعة أشق من فوات الروح، بهذا يحرصون على أوقاتهم حرص الشحيح على المال والجبان على الروح فيستثمرونه على وجه نافع. ومن المعلوم تربويًا أنه لا بد من وقت للترفيه والتسلية البريئة؛ لأن سير الأمور على وتيرة واحدة – مجلبة للسآمة والضجر والملل، والقلوب إذا كَلَّتْ عميت، وسويعةُ ترفيه تجدد النشاط وتقوى العزيمة، وتفتح نوافذ البصيرة(١).

ج- أن نكون قدوة صالحة لأبنائنا، لأنهم يقلدون الآباء، ويتشبهون بهم، وينشأون على ما عودوهم عليه إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. وأكثر ما تقع أعينهم على آبائهم، فتنطبع صورهم على شاشة فطرتهم، فلنحرص على أن تكون تلك الصور مرسومةً بمداد الاستقامة، لابسة ثياب التقوى. وهم إنما يتأثرون بما يشاهدون أكثر من تأثرهم بما يسمعون، إذ الدلالة الفعلية أقوى أثرا من الدلالة القولية، وإذا اجتمعت الدلالتان فعلتا في النفس فعل السحر، وجذبتا القلب بأسلس عنان:

وينشأ ناشىء الفتيان منا ∴ على ما كان عوّده أبوه

ولذلك يقول عامر الشهواني: " إن الأسرة مطالبة برسم خطة واضحة المعالم لأبنائها من خلالها يستطيعون أن يسلكوا طريق حياتهم بأمان وبثقة بعيدًا عن المؤثرات السلبية، وقد يكون ذلك ممكنًا من خلال تزويدهم بالمعلومات والمعارف التي تحقق البناء الفكري السليم، وأن يكون الأب والأم قدوة صالحة ليجد الأبناء نموذجًا حيًا يقتدون به؛ هذا من جانب والجانب الآخر يتمثل في

(١) انظر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ٤٨٧/٢٢، (بترقيم الشاملة آليا).

ضرورة الابتعاد عن العنف في الأسرة، أو ما يعرف بالعنف الأسري؛ لأن العنف في التربية من أشد الأخطار الاجتماعية، وله انعكاسات سلبية على أفراد المجتمع حيث يولد لديهم الحقد والبغضاء، والكراهية، والخوف، والتشرد، والانعزال، والانطواء، والانحراف، والشذوذ، وانتشار الرذيلة والفساد، وغيرها من السلوكيات غير المرغوبة في المجتمع، والسلوكيات السلبية تعد من أشد آفات المجتمع، بل هي من أشد أمراضه، وأسباب تفككه، وانحلاله وما يترتب على ذلك من مشكلات أمنية " (١) .

ب. المسجد ودوره في الأمن الفكري:

للمسجد دور هام في تحقيق الأمن الفكري حيث " إن المسجد في الإسلام من أهم الدعائم التي تربى عليها الفرد المسلم، وقام عليها بناء المجتمع المسلم، في جميع العصور عبر التاريخ الطويل، ولا يزال المسجد من أقوى الأركان الأساسية لتكوين الفرد والجماعة، وتكوين المجتمع المسلم الراقي، وذلك لأنه بغير المسجد لا يمكن للفرد أن يتربى روحيا وإيمانيا وخلقيا واجتماعيا وفكريًا " (٢) .

" نظرًا لدور المسجد الخطير " فلا عجب إذا رأيت رسول الله – ﷺ – يبني – أول ما يبني بالمدينة – المسجد؛ ليصل حبل الأمة بحبل السماء، وليرد الناس إلى ربهم ليتزودوا منه، ويستقوا به، ويعتمدوا عليه " (٣) .

---

(١) انظر: مؤسسات المجتمع والأمن بين الواقع والطموح: عامر عبدالله الشهواني، ص ٧٨، مجلة الأمن والحياة. مجلة البحوث الإسلامية: ١٢١/٩٤.

(٢) المسجد وأثره في تربية الأجيال ومؤامرة أعداء الإسلام عليه، عبد الله قاسم الوشلي، ص ٣٧، سلسلة نحو النور، رقم ٨، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

(٣) فقه الدعوة: د/ جمعة علي الخولي، ص ٥٦، ط، المكتبة التوفيقية، ط: الأولى ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م، القاهرة، وانظر: مجلة البحوث الإسلامية: ١٢٢/٩٤.

" وكان للمسجد في عهد النبي – ﷺ – رسالة تربوية حيث إنه اهتم ببناء الشخصية الإسلامية من جميع جوانبها بناء متكاملاً ومتوازنا، وتربى المسلم فيه تربية وجدانية وروحانية وخلقية واجتماعية وعقلية وفكرية وفق تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة " (١) .

" وقد كان المسجد على عهد رسول الله – ﷺ – مصدر الإشعاع المادي والروحي للمسلمين، فهو مكان العبادة، وساحة القضاء، ومدرسة العلم، وندوة الأدب، ومعهد الثقافة الرشيدة، أي أنه كان لأمور الدين والدنيا معا " (٢) .

والمسجد هو الجامعة التي تخرج فيها الرعيل الأول الذين حملوا الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها ومن شأن أن يخرج أمثالهم إن استغل الاستغلال الأمثل قال الله – تعالى –: { لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ }(٣).

" فالمساجد وهى أحب البقاع إلي الله وأطهرها هي التي تربي الذين تعلقوا بها وتعلموا العلم، والدين، والذكر، فتمكن الدين من قلوبهم ولم تغرهم الدنيا أو تصرفهم ملذاتها وأموالها وتجارتها عن ذكر الله، بل جعلوا طاعة الله وعبادته والتمسك بكتابه غاية مرادهم، ونهاية مقصدهم، فما حال بينهم وبينها رفضوه، وقد كان الصحابة – ﷺ – يصطحبون أولادهم إلى المسجد ويربونهم على حبه والتعلق به والدليل على ذلك ما ورد أن النبي– ﷺ – قَالَ: «إني لأَقُومُ في الصَّلاَةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصبي، فَأَتَجَوَّزُ في صلاتي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ»(٤).

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي، ص ٣١، العدد ٣٨٧، ذو القعدة ١٤١٨هـ مارس ١٩٩٨م، وانظر: مجلة البحوث الإسلامية: ١٢٣/٩٤.

(٢) فقه الدعوة: د/ جمعه علي الخولي، ص ٥٧.

(٣) سورة التوبة – آية (١٠٨).

(٤) أخرجه الإمام البخاري، كتاب: الجماعة والإمامة، باب: من أخف الصلاة عند بكاء الصبي: ٢٥٠/١، برقم (٦٧٥).

والخلاصة أن المساجد إذا قام فيها بالدور التربوي المؤثر فهو ضرورية في توعية الأفراد وتعديل سلوكياتهم وتصحيح أفكارهم وتثبيت عقيدتهم ووقايتهم من الانحراف الفكري. ولكي يقوم المسجد في العصر الحالي لابد من تفعيل نشاطه بما يتوافق مع القضايا المعاصرة وتقديم الحلول الإسلامية لها وعلى رأسها قضية الأمن الفكري. ولكي يتم ذلك لابد من حسن اختيار أئمة المساجد الذين يكونوا ممن يشهد لهم بالعلم والفكر المتزن. ولابد من تطوير خطب المساجد في مناقشة مشاكل المجتمع وتقديم الحلول الإسلامية الصحيحة لها، من خلال شرح آيات القرآن والأحاديث النبوية التي تحث على تحقيق الأمن والسلام والاستقرار، كما أن للمسجد دوره الفعال في جمع شمل أفراد المجتمع وبيئته المحيطة والألفة والسلام بين أفراده، ونبذ العنف والفوضى والتطرف والتلاعب بعقول الناس، بما يحقق مفهوم الأمن الفكري ويحصر التطرف بكل معانيه جليًا (١).

وعلى ذلك فان بناء المساجد والعناية بها من أسباب الوقاية من الانحراف الفكري إذا أقيمت رسالة المسجد على الوجه المطلوب، فإن خطبة الجمعة، ودروس العلم في المسجد، والكلمات التي تلقى أدبار الصلوات لها أبلغ الأثر بإذن الله في حفظ المجتمع ووقايته من الفكر المنحرف، وكان المسجد في العهد النبوي مصدر الاعتقاد الصحيح والفكر السليم، وفي نفس الوقت قلعة التحصين تجاه الاعتقادات الباطلة والأفكار المنحرفة ولا يزال المسجد المكان المناسب حقا للتصدي للفكر المنحرف وكشف زيفه وإزهاق باطله لثقة المسلمين بعلمائهم وأئمتهم. ولذا كان واجبا على المسلمين، سيما أهل العلم والسلطة العناية برسالة المسجد، وتفعيل دوره بالدروس، والدورات.

---

(١) انظر: مؤسسات المجتمع والأمن بين الواقع والطموح: عامر الشهواني، ص ٧٩، بمجلة الأمن والحياة، مجلة البحوث الإسلامية: ١٢٥/٩٤.

ج. المدرسة ودورها في الأمن الفكري:

وكما أن للمسجد دوراً مهماً في تحقيق الأمن الفكري فكذلك المدرسة حيث "تقوم المدرسة بدور فعال قد تعجز عنه أية مؤسسة اجتماعية أخرى، فالمدرسة تقوم بالإصلاح والتوجيه السليمة في المجالات الأمنية وتعزز القيم الاجتماعية من خلال الأساليب التربوية المختلفة، كما تقوم الأنشطة التعليمية المختلفة الموجهة لخدمة الجوانب الأمنية، وتطوير المناهج بما يخدم هذا المجال. فمن بين العقبات التي يجب أن تركز عليها مناهج التعليم في مجال التخطيط أو التغيير ما يتعلق بالتوعية الأمنية لتحقيق أن يلتزم المجتمع والالتزام الديني والأخلاقي المعتدل، ومنع الظلم والعنف والبعد عن التطرف بما يحقق التكيف مع المجتمع وتوضيح مفهوم العنف بكافة أشكاله، ومناقشة الآثار المترتبة عليه "[(١)].

والمدرسة هي إحدى الخطوات الأولى في إيقاد مشاعل العلم وتنشئة العلماء، وقد ورد في آيات القرآن الكريم الكثير مما يدل على فضل العلم والعلماء وقدرهم في الأمة قال الله تعالى: { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } [(٢)] " فكل هذه الآيات وغيرها تحث على العلم وترفع قدر أصحابه؛ لأنه لا قيمة لعقل جاهل، والعقل الجاهل أكثر عرضة للانجراف وراء الأوهام والخرافات والبدع، ولا يجيد إدراك حقيقة الدين ولا مصالح الدنيا " [(٣)].

---

(١) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) سورة المجادلة الآية (١١).

(٣) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: د/ يوسف حامد العالم، ص ٣٦٦، ط، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط: الأولى ١٤١٢هـ، مجلة البحوث الإسلامية: ١٢٦/٩٤.

ولكي يتم نشر العلم وتدريب العلماء والقضاء على الجهل لابد من توفير وسيط ثقافي معرفي يقوم بهذه المهمة وهذا الوسيط هو المدرسة؛ ولذلك كان لابد من " تكاتف الجهود بين البيت والمسجد والمدرسة لكي تتحقق التربية الفكرية الإسلامية للنشء المسلم، ولابد أن يكون هدف الجميع تحقيق العبودية لله – ﷻ –، وحماية الأجيال المسلمة من كل ما يبعدهم عن الفهم الصحيح لدين الله " (١) .

وإدارة المدرسة والمعلمون لهم دور مهم في تعميق مفاهيم الإسلام وتثبيت أفكاره وغرس قيمه الفاضلة في قلوب التلاميذ والتي من شأنها أن تحصنهم وتقيهم بإذن الله من الانحراف الفكري، ولكي يتسنى لهم القيام بهذا الدور، فيجب عليهم أن يحققوا من أنفسهم نماذج الشخصية الإسلامية السوية ويتخلقوا بالأخلاق الإسلامية السامية، ويقدموا المثل الواقع الذي يمكن للتلاميذ التأسي به، وتقليده (٢).

لأن القدوة الحسنة هي النموذج الفعال لتمكين مرتكزات التربية الإسلامية، قال الله تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } (٣).

وبالجملة: فالتربية الإسلامية مسؤولية ملقاة على عاتق الوالدين والمربين سواءً كانوا في البيت أو المسجد أو المدرسة أو أي مؤسسة أخرى وهؤلاء محاسبون أمام الله – ﷻ –.

فعن عبدالله بن عمر – م – قال: قال رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ –: « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ

---

(١) التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع للأستاذ/ عبد الرحمن النحلاوي، ص ١٤٦، ط، دار الفكر بدمشق.

(٢) انظر: دور التربية الإسلامية في المدارس الابتدائية في مواجهة ظاهرة الإرهاب: عبدالله حريري، ص ١٤٩، بمجلة البحوث الأمنية، المجلد ١٥، عدد ٣٣ .

(٣) سورة الأحزاب الآية (٢١).

رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ في بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ في مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهْوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » [١] .

« كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » [٢] قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته [٣] .

ولو فرط أحد من المربين في مسؤوليته لكان سببًا في انهيار أخلاق الشباب وتردي سلوكياته وانحراف أفكاره.

ثانيا: شغل وقت الفراغ ومحاربة الرفاهية الزائدة:

لعل أوقات الفراغ الكثيرة التي يعيشها الشباب ويعانون منها وخاصة المترفين منهم احدى أسباب وقوع هؤلاء الشباب في براثن الانحراف الفكري وإذا أردنا تحقيق الأمن الفكري ومحاربة الانحراف الفكري فعلينا شغل وقت فراغ الشباب وتعويدهم على الخشونة والجلد وتحمل المسؤولية وهذا ما أرشدنا إليه القرآن الكريم فقد ربط بين العيش الرغيد وبين الضعف عند الخصومة، فقال تعالى: { أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ } [٤].

{ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ } " يعني ينبت في الزينة، أي يربى تربية كتربية النساء، { وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ } هذا الولد الضعيف قليل الحيلة، وهو عند

---

(١) أخرجه الإمام البخاري، كتاب: العتق، باب: ما ينهى عن إضاعة المال وقوله تعالى: { وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ }: ٨٤٨/٢ برقم (٢٤١٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجمعة، حديث رقم (٨٩٣)، و مسلم، كتاب: الإمارة، حديث رقم (١٨٢٩)، والترمذي، كتاب: الجهاد، حديث رقم (١٧٠٥)، و أبو داود، كتاب: الخراج والإمارة والفيء، حديث رقم (٢٩٢٨)، والإمام أحمد حنبل في مسنده: ١٢١/٢.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم: ٢١٣/١٢، مجلة البحوث الإسلامية: ١٣٣/٩٤.

(٤) سورة الزخرف الآية (١٨).

الخصومة والمحاججة غير بيّن ضعيف عنها " [١] .

والحرب الحديثة ضد الإسلام والمسلمين متنوعة الأشكال والصور والوسائل، فمنها العسكرية ومنها الفكرية، ومنها النفسية وغيرها، وهؤلاء المترفون أول من يتساقط على طريق هذه الحروب غالباً كما ربط القرآن الكريم بين الترف الزائد وبين الفسق فقال تعالى: { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا }[٢].

{ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا } " أمرنا متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه إليهم، {فَفَسَقُوا فِيهَا} بالتمرد والعصيان والخروج عن طاعة الله فنتج عن ذلك بأن صب عليهم من النعم ما أبطرهم وأفضى بهم إلى الفسوق ".

{ فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا } لأن هؤلاء المترفين معول هدم لأممهم؛ لأن النفس إذا ارتاحت ولم تجد من يقومها ترهلت ورتعت في براثن المعاصي والشهوات، فإذا كثر المترفون نشروا الفواحش وأرخصوا القيم العليا إذا لم يأخذ على أيديهم بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وشغلهم بما هو مفيد ونافع لهم ولمجتمعهم[٣].

فعلى من أراد تحقيق الأمن الفكري ابتكار المشروعات والأفكار البناءة، التي تشغل أوقات فراغ الشباب بما هو مفيد، وتنأى بهم عن الوقوع في أسر الأفكار الهدامة، نتيجة الرفاهية الزائدة الغير مضبوطة بالتأديب على أمور الدين والتربية عليه، ونتيجة لأوقات الفراغ الكثيرة التي يعيش فيها الشباب.

وأختم هذا الأساس بمعادلة يرددها التربويون في العصر الحديث وهي: (رفاهية زائدة + سوء تربية + وقت فراغ = مشروع منحرف).

---

(١) تفسير مقاتل: ٧٩١/٣، ط: دار إحياء التراث، ط: الأولى ١٤٢٣هـ.

(٢) سورة الإسراء الآية (١٦).

(٣) انظر: تفسير مقاتل: ٥٢/٢.

ثالثاً: البعد عن الإعلام الهابط الهدام، والاستعانة بالإعلام البديل المنافس:

الإعلام من أقوى الوسائل تأثيراً على البشر وعلى المجتمع؛ إذ إنه سلاح ذو حدين، ولا يُمنع أحد من عدم مشاهدته؛ لأنه في متناول الجميع، سواء كان مرئياً أم مقروءاً أم مسموعاً، ولذا كان من مراتب الجهاد جهاد الكلمة أو جهاد القلم، ولكن ما إن يتحول هذا الإعلام إلى وسيلة لإذلال العباد واستعبادهم حتى يصبح ذا خطورة عالية، فيهوّل لهم الأمور حتى تصبح كالموبقات لديهم { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ } [١]، فتجدهم لا يجرؤون على الكلام فيه أو الخوض في تفاصيله، فأصبح الجميع مستعبَداً لما يقوله الإعلام فيلعب بعقولهم كيف شاء؛ فتارة يُلهب عواطفهم ضد أمر ما، وتارة يحذرهم من أمر فيه خير، وقلما تجده يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر، ولو أنهم رجعوا إلى عقولهم وبصيرتهم لوجدوا أن الحق خلاف ذلك، ولو أنهم تجنبوا ذلك الإعلام السيئ أو أخذوا الإعلام من مصدره الصحيح لما حدثت التغيرات الداخلية لديهم، ولما تقاعسوا وتراجعوا، ولأبصروا الحقيقة الحقة، { وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً } [٢] .

إن " وسائل الإعلام تسهم بنصيب كبير في الانحراف الفكري خاصة إذا كان المشاهد مولعا بالتقليد، فهو يحاول تقليد ومحاكاة ما يشاهده على شاشة التلفاز، وما يعرض على هذه الشاشة في بعض الأحيان يناقض القيم والمعايير الدينية والاجتماعية التي تحكم الفرد ويتصادم معها، مما يوجد خللاً في المنظومة القيميّة له، فيؤدي ذلك في النهاية إلى الانحراف وما لا تحمد عقباه " [٣] .

---

(١) سورة النساء الآية (٨٣).

(٢) سورة النساء الآية (٨٣).

(٣) دور المؤسسات التربوية في الوقاية من الفكر المتطرف، ص ٣٦، مجلة البحوث الأمنية، المجلد ١٤، عدد ٣٠.

وإذا كان أعداء الإسلام برعوا في استغلال وسائل الإعلام الحديثة في تسميم أفكار الشباب، فعلى المصلحين أن يستغلوا وسائل الإعلام الحديثة في نشر الدين الصحيح وفي تنقية فكر الشباب مما قد يعتريه من هذه الأفكار المسمومة. والمتأمل في آيات القرآن الكريم يجد أن الله – ﷻ – أمر باستغلال النعم التي ينعم الله بها على الإنسان فيما يرضي الله – ﷻ – ودليل ذلك قوله تعالى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } (١).

ووسائل الإعلام إحدى متع هذه الحياة وهي نعمة إن استغلت فيما يحب الله ويرضى، وهي نقمة إن حادت عن هذه الغاية " فلقد خلق الله طيبات الحياة ليستمتع بها الناس؛ وليعملوا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها، فتنمو الحياة وتتجدد، وتتحقق خلافة الإنسان في هذه الأرض. ذلك على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة، فلا ينحرفون عن طريقها، ولا يشغلون بالمتاع عن تكاليفها.

والمتاع في هذه الحالة لون من ألوان شكر المنعم ونقل لظلاله والتفاع بها فهو طاعة من الطاعات يجزي الله عليها بالحسنى. وهكذا يحقق هذا المنهج التعامل والتناسق في حياة الإنسان، ويمكنه من الارتواء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعاملة التي لا حرمان فيها ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة.

{ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ } أي: ابتغ بها ما عند الله ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات، وتحصيل اللذات. { وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ } بالتكبر والمعاصي والاشتغال بالنعم عن المنعم " (٢)

---

(١) سورة القصص الآية (٧٧).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد: السعدي: ٦٢٣/١.

ومن مراقبة الله – ﷻ – في وسائل الإعلام أن يستغلها المصلحون فيما يرضي الله، ومن ذلك :

إعداد البرامج التي من شأنها تحصين المسلمين فكريًا ضد الأوبئة الفكرية التي ينفثها أعداء الإسلام في بلاد المسلمين.

ولعل استغلال وسائل الإعلام من أيسر الوجوه لدعوة الشباب وتحصينهم فكريا في عالمنا المعاصر.

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا دور الإعلام في نشر الوعي بين جميع طبقات المجتمع، وإفساح المجال للفكر أن يتناول قضايا العصر والنظام السائد فيه، سواء كانت علمية أو اجتماعية أو تربوية، بالنقد والتحليل فيسهم في حل قضايا المجتمع، ويبين محاسن المبادئ والنظريات، ولكي يستفيد أبناء المجتمع المسلم منها، وبالمقابل يكشف المبادئ الهدامة والفاسدة، ويدعو إلى تجنبها والابتعاد عنها. كما أنه يسهم في مداواة أمراض الجريمة وعلل الانحراف الفكري وذلك بالاهتمام بالبيت والأسرة، ويقدم النصح للأبوين فيما يعرض لهما من مشكلات تربوية، ومساعدة المدرسة على أداء رسالتها، ويسهم في تقديم الإرشادات والتوجيهات لكل طبقات المجتمع [١] .

رابعا: الحوار:

هو من أفضل تلك الطرق، وهو سلاح فتاك، من حيث إقناع الآخرين، والحوار الهادئ المقنع يفعل – في أكثر الأحيان – ما لا تفعله قوةُ المدافع والطائرات، وإذا كان كذلك، وأراد المسلمون أن يحموا أوطانهم، ويحفظوا وحدة أمتهم، فعليهم بالحوار؛ لأنه لا غنى لهم عنه، فهو وسيلة أساسية للتواصل مع الآخرين، وإقناع أصحاب الانحراف الفكري والعقدي، وليس القمع، فللوصول إلى الحق لا بد من اتباع الحوار.

---

(١) المسؤولية الأمنية للمؤسسات الاجتماعية: أحمد عبدالكريم غنوم، ص ٧٦ بمجلة البحوث الأمنية، المجلد ١٥، عدد ٣٤، مجلة البحوث الإسلامية: ١٣٩/٩٤.

ويعرف الحوار بأنه: " حديث يجرى بين شخصين أو أكثر في قضية ما، وقد يكون على طريقة السؤال والجواب شريطة الوحدة في الموضوع " (١) .

إن الحوار دعوةٌ إلى الله، والحوارُ السلمي الهادف سنّةٌ قرآنية، وسنة نبوية، ينبغي أن نتمسك بها، ولا نتخلَّى عنها، لنصون به أخوتنا، ونعالج به كثيرًا من اختلافاتنا، إن لم نقل كلها.

وفي القرآن الكريم كثير من الحوارات، جرت بين رسل الله – عليهم الصلاة والسلام – وبين أقوامهم، فهذا نبي الله نوح – عليه السلام –، قال له قومه: { يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } (٢).

والجدال في القرآن نوع من الحوار، وكل منهما يجيء بألفاظ متقاربة لمعنى واحد. وهنا أؤكد أن المساهمة في تحقيق الأمن الفكري هي مسؤولية مجتمعية مشتركة وخاصة مؤسسات الحوار ودورها في إدراج الموضوعات التي تعزز الأمن الفكري، وتحدُّ من الانحرافات الفكرية؛ وذلك من خلال استقطاب مفكرين ومثقفين مؤهلين تأهيلاً عالياً في هذا المجال للتحاور في جوانب مهمة لها علاقة بالأمن الفكري، ومن ثَمَّ الخروج بتوصيات ونتائج تعزز من دور الأمن الفكري، وتحدُّ من الانحرافات الفكرية، وخصوصاً في هذا الوقت الذي نعيش فيه مع التطورات التقنية الحديثة التي أدت إلى الانفتاح على الثقافات الأخرى؛ حيث أصبحت سياسة الثقافة المنغلقة غير صالحة في هذه الأيام؛ مما يتطلب منا جميعاً الارتقاء بلغة الحوار سواء في المنزل أو المدرسة أو العمل أو على المستوى الشخصي والتفاهم مع شرائح المجتمع وأطيافه المختلفة كافة بلغة حوارية راقية بما يعزز مجتمعنا ويحصنه من الثقافات السلبية التي تزيد من الانحراف الفكري.

ومن هذا المنطلق كان الحوار وسيلة من وسائل تحقيق الأمن الفكري التي يمكن استنباطها من القرآن الكريم، وهو أسلوب وقائي وعلاجي في آن واحد،

---

(١) أصول التربية الإسلامية: عبد الرحمن النحلاوي، ص ٢٠٦.

(٢) سورة هود الآية (٣٢).

بمعنى أنه على المصلحين أن يديروا دائما حوارات مع الشباب لتحقيق الأمن الفكري لديهم وتصحيح مفاهيمهم وتحصينهم من الغزو الفكري، كما أنه على المصلحين إدارة جلسات حوارية مع من انجرف من الشباب في تيارات الغزو الفكري لإقناعهم بالإقلاع عما هم عليه وبيان خطورته عليهم وعلى الأمة جمعاء(١).

ومن المواقف التي وردت في السنة لتدل على استخدام النبي- ﷺ - لأسلوب الحوار وأنه أسلوب جدير في أن يغير الأفكار ويقومها، ما ورد عَنْ أَبِي أمامة - ﷺ - قَالَ: « إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النبي - ﷺ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِى بِالزِّنَى. فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ. فَقَالَ: ((ادْنُهْ)). فَدَنَا مِنْهُ قَرِيباً. قَالَ فَجَلَسَ. قَالَ: ((أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ)) ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ جعلني اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: ((وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ)). قَالَ: ((أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ)) ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جعلني اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: ((وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ)). قَالَ: ((أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ))؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: ((وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ)). قَالَ: ((أَفَتُحِبُّهُ لعَمَّتِكَ)) ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: ((وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ)). قَالَ: ((أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ)) ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: ((وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ)). قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ)). قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شيء » (٢).

وهكذا عالج النبي - ﷺ - الموقف وقوّم الأفكار، ووأد الفتنة في أول ظهورها، وفي ذلك القدوة الحسنة لولاة أمر المسلمين، والدعاة، والمصلحين في كل عصر ومصر إذا أرادوا إرادة حقيقية في تحصين المسلمين من الانحراف الفكري، وتحقيق الأمن الفكري لهم.

---

(١) أصول التربية الإسلامية: أ/ عبد الرحمن النحلاوي، ص ٢٠٦.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، حديث أبي أمامة الباهلي صدى بن عجلان بن عمرو بن وهب الباهلي عن النبي - ﷺ -: ٢٤٨/٥ برقم (٢٢٢٦٥).

وكذلك استخدم الصحابة – ﷺ – مبدأ الحوار في معالجة الانحراف الفكري، ومن ذلك ما وقع في خلافة علي – ﷺ – من الخوارج فبعث إليهم عبدالله ابن عباس – ﷺ – فحاورهم وكانت نتيجة هذا الحوار رجوع أربعة آلاف منهم إلى الحق بدون قتال .

وقد سار السلف الصالح على منهج النبي – ﷺ – في محاورة أهل الباطل وعلى رأس هؤلاء السلف: الإمام ابن تيمية حيث أثرت مؤلفاته المكتبة الإسلامية في مجال محاورة أهل البدع والزيغ ومن هذه المؤلفات الرسالة التدمرية، كما كان لآرائه ومقترحاته أكبر الأثر في بعض الفرق المنحرفة وأصحاب الأفكار الضالة (١) .

والحوار له مبادئ وآداب حتى يكون ذا جدوى، منها:

أ- " حسن القصد من الحوار وذلك بالإخلاص لله والرغبة في طلب الحق: قال الله تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } (٢).

ب-العلم: فلا حوار بلا علم، والمحاور الجاهل يفسد أكثر مما يصلح، وقد ذم الله – ﷻ – المجادل بغير علم قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ } (٣).

ج-التزام القول الحسن وتجنب منهج التحدي والإفحام قال تعالى: { وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ

(١) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (المعروف بابن القيم الجوزية): ٢١٥/١، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الجيل، بيروت ١٩٧٣م، وانظر: أدب الاختلاف في الإسلام: د/ طه جابر فياض العلواني، ص ٨٦، ط، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض.

(٢) سورة البينة الآية (٥).

(٣) سورة الحج الآية (٨).

لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا }[١]، وقال تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [٢].

د- التواضع واللين والرفق وحسن الاستماع فقد أمر الله نبيه موسى وأخاه هارون -عليهما السلام- بمخاطبة فرعون بالرفق واللين قال تعالى: { فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى }[٣] .

ه- الحلم والصبر: فتحلي المحاور بالحلم والصبر أجدى إلى إقناع خصمه وهدايته قال تعالى: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } [٤].

و- العدل والإنصاف: فيجب علي المحاور أن يكون منصفًا فلا يرد حقًا، بل عليه أن يبدى إعجابه بالأفكار الصحيحة والمعلومات الجيدة التي يوردها محاوره قال تعالى: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }[٥].

خامسا: حب الوطن:

إن حب الوطن والانتماء له والسعي لمصلحته والبعد عما يضر به والحرص على وحدته وطاعة ولي أمره في غير معصية مطلب شرعي أمر به

---

(١) سورة الإسراء الآية (٥٣).
(٢) سورة النحل الآية (١٢٥).
(٣) سورة طه الآية (٤٤).
(٤) سورة فصلت الآيات (٣٣ - ٣٥).
(٥) سورة آل عمران الآية (٦٤).

الإسلام وهو إحدى الوسائل الإسلامية التي من شأنها أن تحقق الكثير لدى المسلمين من الأمن الفكري، والأدلة من القرآن والسنة على ذلك كثيرة منها:

قوله – تعالى – آمرًا المؤمنين بالمحافظة على وحدة الوطن وقوة لحمته: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } (١).

{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ } " بدين الإسلام، أو بكتابه؛ لقوله – ﷺ –: « القرآن حبل الله المتين» (٢) استعار له الحبل من حيث إن التمسك به سبب للنجاة من الردى، كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة من التردي والوثوق به والاعتماد عليه { جَمِيعًا } مجتمعين عليه { وَلا تَفَرَّقُوا } أي: ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب، ولا تتفرقوا تفرقكم في الجاهلية يحارب بعضكم بعضًا، ولا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الألفة " (٣) .

ولا شك أن طاعة ولي الأمر في غير معصية الله تأكيد على حب الوطن، وحرص على وحدته، وتفويت على أعداء الإسلام من إيقاع الفرقة بين المسلمين وإشعال الحروب الداخلية في بلدانهم.

والناظر في سنة النبي – ﷺ – يتعجب من شدة حبه – ﷺ – لوطنه الأم مكة المكرمة ودليل ذلك قول النبي – ﷺ –حين هجرته بعد سنوات طوال من إيذاء أهل مكة له وتصدي الكثير منهم لدعوته: « وَاللهِ إنّك لَأَحبّ أَرْضِ اللهِ إلَيّ

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٣).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي، كتاب: فضائل القرآن، باب: مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْقُرْآنِ: ١٧٢/٥ برقم (٢٩٠٦).

(٣) تفسير البيضاوي: ٣٧٣/١، ط: دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤٠٨هـ، وانظر: مجلة البحوث الإسلامية: ١٥٠/٩٤.

وَإِنّك لَأَحَبّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ وَلَوْلاَ أَنّ أَهْلَك أَخْرَجُونِي مِنْك مَا خَرَجْت » [١][٢] .

وقد ورد في أقوال السلف ما يؤكد قيمة حب الوطن وأهميته ومن هذه الأقوال: ما قاله عمر – ﷺ –: (لولا حب الوطن لخرب بلد السوء فبحب الأوطان عمرت البلدان).

وقال ابن عباس – ﷺ –: (لو قنع الناس بأرزاقهم قنوعهم بأوطانهم لما شكا عبد رزقه). وقال أبو عمرو بن العلاء: (مما يدل على كرم الرجل وطيب غريزته حنينه إلى أوطانه، وقديما قالوا: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة وإلى مسقط رأسها تواقة [٣].

فعلى ولاة الأمر والمصلحين والمربين والآباء في بلدان المسلمين أن يزرعوا حب الوطن والانتماء له والحرص على وحدته، ونفع أهله، وطاعة ولي أمره، عليهم أن يزرعوا ذلك كله في داخل الناشئ المسلم وأن يستغلوا لذلك برامج تربوية واعية في البيت والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام حتى في النوادي الترفيهية وغيرها من الأماكن التي يتردد عليها الشباب.

---

(١) سنن الترمذي، المناقب، رقم (٣٩٢٥)، سنن ابن ماجه، المناسك، رقم (٣١٠٨)، سنن الدارمي، السير، رقم (٢٥١٠)، تحقيق: مصطفى البغا، ط: دار القلم، دمشق، ط: الثانية ١٤١٧هـ..

(٢) الروض الأنف: السهيلي: ٣١٤/٢، ط: دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٣) انظر: تفسير روح البيان: إسماعيل حقي (ت ١١٢٧هـ): ٢١٣/١٠، ط: دار الفكر، بيروت، محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني: ٩٩/٢، ط: دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٠هـ، والمحاسن والمساوئ لإبراهيم البيهقي: ١٣٨/١، ط: دار صادر، بيروت، ومجلة البحوث الإسلامية: ١٥٣/٩٤.

سادسا: المؤاخاة:

إن حب المسلم لأخيه المسلم وحرصه على مصلحته جزء من الدين، وهذا ما دفع النبي – ﷺ – أن يجعل المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار من أول أفعاله بعد هجرته – ﷺ –؛ ولو طبقت المؤاخاة حق التطبيق لكان لها أكبر الأثر في تحقيق الأمن الفكري والسلوكي؛ لأن كل واحد داخل الوطن ينظر للآخر على أنه أخوه يحبه ويحرص عليه ويتفانى في مصالحه. ولذلك فإن الرابطة الإيمانية هي أهم الأسس التي يقوم عليها المجتمع المسلم، وبالتالي فهي أهم وأقوى الحصون التي تحصن المجتمع من كيد أعدائه وأفكارهم المسمومة، وتخطيطاتهم الخبيثة .

وقد كانت الأخوة نوعاً جديداً من العلاقات لم يعهده المجتمع العربي قبل الإسلام، إذ كان ذلك المجتمع يقوم على رباط النسب والجنس، فجاء الإسلام ليجعل الترابط في مجتمعه على ذلك الأساس الروحي والفكري من وحدة العقيدة ووحدة الغاية، متخطياً في ذلك الروابط التي تحمل في طيّاتها عوامل التفكك وبذور الانهيار (١).

قال الله – تعالى –: { وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (٢).

وجملة: { يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ } حال من الذين تبوؤوا وهذا ثناء عليهم بما تقرر في نفوسهم من أخوة الإسلام إذ أحبوا المهاجرين، وشأن القبائل أن

---

(١) المجتمع الإسلامي، أهدافه ودعائمه أوضاعه وخصائصه، في ضوء الكتاب والسنة، د/ مصطفى عبدالواحد، ص٤٤، ٤٥، ط: مطبعة دار التأليف، مصر، ط: الأولى ١٣٨٩هـ، وانظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: عبدالله بن عبدالرحمن الجربوع: ٥٥٣/٢، ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عمادة البحث العلمي، ط: الأولى ١٤٣٢هـ ٢٠٠٣م.

(٢) سورة الحشر الآية (٩).

يتحرجوا من الذين يهاجرون إلى ديارهم لمضايقتهم[١].

ومن آثار هذه المحبة ما ثبت في الصحيح من خبر سعد بن الربيع مع عبد الرحمن بن عوف – م – إذ عرض سعد عليه أن يقاسمه ماله، وأن ينزل له عن إحدى زوجتيه، وقد أسكنوا المهاجرين معهم في بيوتهم ومنحوهم من نخيلهم وحسبك الأخوة التي آخى النبي – ﷺ – بين المهاجرين والأنصار، فلنا فيهم أسوة حسنة [٢] .

والأخوة جزء من الإيمان وعلامة عليه إن وجد وجدت، قال الله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }[٣].

{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } " هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين أخوة توجب أن يحب له المؤمنون، ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له ما يكرهون لأنفسهم " [٤] .

وبعد البيان لأهمية الرابطة الإيمانية لقوة المجتمع المسلم ووحدته وحصانته من الأفكار الهدامة، وأثر ضعف تلك الرابطة في تفككه وحدوث الثغرات التي يتسلل منها كل فكر خبيث ومبدأ هدام، بعد ذلك يأتي المجال لذكر أهم العوامل التي تنمي الرابطة الإيمانية وتشد منها.

وكل عامل من هذه العوامل هو شعيرة من شعائر الإسلام، بمعنى أن الإسلام أمر بها ونظمها، وهي في نفس الوقت لبنة في حصن المجتمع بقيامها يتماسك، وتقوى رابطته، وبضعفها أو زوالها يهتز بناء المجتمع، وتضعف رابطته ويدب فيه الفساد.

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٤٣٦٢/١، ط: الدار التونسية ١٩٨٤م.

(٢) المرجع السابق: ٤٣٦٢/١.

(٣) سورة الحجرات الآية (٩).

(٤) تيسير العزيز الحميد للسعدي: ٨٠٠/١.

وأهم العوامل التي تنمي الرابطة الإيمانية هي:

أولاً: التزام الأخلاق الفاضلة.

ثانياً: القيام بالحقوق المفروضة لبعض المسلمين على بعض.

ثالثاً: الالتزام بالنظام الاجتماعي والاقتصادي الإسلامي.

رابعاً: المحافظة على الوحدة الفكرية(١).

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: ٢/٥٦٠.

ثانيا: الأساليب الوقائية والعلاجية لمواجهة الانحراف الفكري:

ولا ريب أن تأصيل وترسيخ الاعتقاد الصحيح من أعظم وسائل الوقاية من الانحراف الفكري، والواقع في القديم والحديث يصدق هذه الحقيقة؛ إذ لا نكاد نلمس انحرافا فكريا فيمن كان لديه اعتقاد صحيح مبني على علم، فلا غرو أن يعنى الكتاب الكريم والسنة المطهرة بتثبيت العقيدة الصحيحة في النفوس بالدلائل والبراهين العقلية والنقلية، ومن ذلك:

أولا: التزام الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة:

هو الأساس العاصم من الانحراف الفكري في الأمة على المستوى الفردي والجماعي، وذلك بدلالة الكتاب والسنة، وإجماع السلف الصالح من أصحاب النبي – ﷺ – والتابعين لهم بإحسان على ذلك، قال تعالى: { الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } [(١)]. وقال سبحانه: { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ } [(٢)] أما دلالة السنة على هذه الحقيقة فواضحة من خلال:

أ- الأحاديث الكثيرة الحاضة على التزام الوحيين والاستمساك بهما، قال النبي – ﷺ –: « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ »[(٣)] وأقوال الصحابة – ﷺ – كثيرة في هذا منها القول المأثور عن الصحابيين الجليلين عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود قالا: إنما هما اثنتان الكتاب والهدي فخير الكتب كتاب الله وخير الهدي هدي محمد – ﷺ – [(٤)].

---

(١) سورة البقرة الآيتان (١، ٢).

(٢) سورة الإسراء الآية (٩)، وانظر: مجلة البحوث الإسلامية: ٣١٩/٧٧.

(٣) رواه الترمذي، في كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، حديث رقم (٢٩٩١).

(٤) الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي: ٦٩/١، تحقيق: محمد رشيد رضا، ط: دار المعرفة، بيروت ١٤٠٢هـ.

ب- التلقي السليم الذي لا تتنازعه أهواء ولا تعصبات ولا منازعات، ولا يشوبها انحرافات فكرية، ولا يخالطها معتقدات فاسدة باطلة.

ولك أن تتصور حال المرء بلا منهج صحيح: كيف يكون حاله ؟ إما إلى جهالة عمياء أو إلى ضلالة خرقاء. قال – تعالى –: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ }(١)، عندما ضعف تأصيله ومنهجه الذي يعتمد عليه عَبَدَ اللهَ على شك وعلى انحراف وخلل عقدي؛ فلم يصبر على مواجهة أمواج الفتن العاتية، فانقلب على وجهه مهزوماً مخذولاً قد خسر دنياه وآخرته، وعلى المرء أن يتحرى الطريق الصحيح الذي يبقي له المنهج صحيحاً سليماً و« الطريق الوحيد الصحيح الذي يجب على كل مسلم سلوكه هو طريق أهل السنة والجماعة طريق الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، ذو العقيدة الصافية والمنهج السليم واتباع السنة والدليل » (٢).

ولو قدر اتفاق المنتسبين للعلم الشرعي والدعوة والإرشاد في كافة البلاد الإسلامية على التزام هذا الأساس، التزاما صادقا نابعا من اقتناع جازم، لقل الانحراف الفكري خصوصا شيئا فشيئا إلى أن يذهب بالكلية، غير أن هذا غير متصور واقعا في الأمة كلها، لأنه مخالف لما أخبر به النبي – ﷺ – من سلوك أمته مسلك الأمم السابقة في الافتراق عن المنهج الصحيح بقوله: « وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقه »(٣) .

---

(١) سورة الحج الآية (١١).

(٢) العبودية لابن تيمية، ص ٥٣، ط: دار الأصالة، مصر، ط: الثانية.

(٣) رواه الترمذي في كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في فراق هذه الأمة، حديث رقم (٢٥٦٤)، وقال: حديث حسن، ورواه أصحاب السنن.

ولكن من الممكن حصوله في بلد دون آخر وفي طائفة من الأمة لا في جميعها لقول النبي – ﷺ –: « لا تزال طائفة من أمتي على الحق...»[١] الحديث.

ولذلك فإنه لا سلامة من الانحراف عن الطريق المستقيم إلا باتباع هذا المسلك العظيم، ولا يمكن أن تكون طائفة على الحق ما لم تلزم هذا الأصل علما وعملا فهما وسلوكا.

ويبن الله – ﷻ – في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه الأمين محمد – ﷺ – الأمور المفسدة للاعتقاد الصحيح، والتي يحدث بوجودها الانحراف الفكري في كل مجتمع، وحذر عباده منها لما لها من آثار سيئة عليهم، ولا ريب أن التعرف على هذه الأسباب من الكتاب والسنة والتحذير منها واجتنابها من أنفع السبل لوقاية المجتمع من الانحراف الفكري بإذن الله تعالى، وهذه أهم الأسباب مرتبة في المطالب التالية:

أولا: العناية بالعلم الشرعي:

فهو من أهم طرق الوقاية من الانحراف الفكري، وضعف العلم وذهاب العلماء من أعظم أسباب الانحراف، كما دلت على ذلك السنة المطهرة بقوله – ﷺ –: « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »[٢].

فهذا الحديث يؤكد أهمية وجود العلماء كضمانة للاستقامة على الحق، وأن فقدهم سبب عظيم من أسباب انحراف الناس وضلالهم، ولا ريب أن هذا يؤكد

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، قول النبي: لا تزال ... رقم الحديث (٦٧٦٧)، ومسلم في كتاب: الإمارة، باب: قوله – ﷺ –: لا تزال طائفة ... برقم (١٩٢٠)، مجلة البحوث الإسلامية: ٧٧/٣٢٠.

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم، رقم الحديث (٩٨)، ومسلم في كتاب: العلم، باب: رفع العلم وقبضه وظهور الجهل، رقم الحديث (٢٦٧٣).

ضرورة العناية بالعلم الشرعي واستمرار وجود العلماء في الأمة، واستمرار وجود من يأخذ عنهم ويتتلمذ عليهم، ليكون خليفة لهم، وقد كان هذا بحمد الله مستمرا في الأمة الإسلامية طوال قرون، وإن ضعف الالتزام به في بعض الأزمنة والأمكنة وفي بعض الأحوال.

وقد نبه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود – ﷺ – إلى أهمية العلم وكونه مضادا لمظاهر الانحراف وعاملا من عوامل الثبات على الحق فقال: (عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إلى ما عنده، وستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق)(١).

ومما يؤكد أهمية العلم كضمانة حقيقية ضد الانحراف ما نلحظه في الواقع من أنه كلما قل العلم بالكتاب الكريم والسنة المطهرة في مجتمع ما كلما بدت ظواهر الانحراف الفكري جلية واضحة وأبرزها الانحراف الفكري فنجد أن البيئات التي يقل فيها العلم يسهل على الدعوات المضللة والأفكار المنحرفة أن تجد فيها قبولا وتأثرا بها، وعلى العكس من ذلك البيئات التي ينتشر فيها العلم الشرعي وهذا ملاحظ في واقع الأمة فإن البيئات التي لم ينتشر فيها العلم الشرعي تكثر فيها البدع والانحرافات.

ثانيا: الفهم الصحيح:

قضيّة الفَهم الصحيح قضيّةٌ من أهمِّ القضايا التي ينبغي العنايةُ بها، لا سيّما في أوقاتِ الفتن؛ إذ بها تتفاوت مراتبُ الخَلق في إصابةِ الحقّ، ولذلك اختصَّ الله نبيَّه سليمان – عليه السلام – بالفَهم مع ثنائه عليه وعلى داودَ بالعِلم والحُكم، قال تعالى: { فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً }(٢) .

وقال عمر بن الخطّاب – ﷺ – لأبي موسى في كتابه إليه: (الفهمَ الفهمَ

(١) الاعتصام للشاطبي: ٧٩/١.
(٢) سورة الأنبياء الآية (٧٩).

فيما أُدلي إليك)[١]، وقال عليّ – ﷺ –: (أو فَهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه)[٢]، وقال أبو سعيد: كان أبو بكر – ﷺ – أعلمَنا برسول الله[٣]، ودعا النبيّ – ﷺ – لعبد الله ابن عبّاس – م – أن يفقِّهه في الدين ويعلِّمه التأويل [٤]، وتلك مرتبةٌ فوق مرتبةِ العلم المجرَّد .قول الإمام العلاّمة ابن القيّم – / –: " صِحّة الفَهم وحُسنُ القصد من أعظم نِعم الله التي أنعم بها على عبدِه، بل ما أعطِيَ عبدٌ عطاءً بعد الإسلام أفضل ولا أجلَّ منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامُه عليهما، وبهما يأمن العبدُ طريقَ المغضوب عليهم الذين فسَد قصدُهم وطريقَ الضّالين الذين فسدت فهومُهم، ويصير من المنعَم عليهم الذين حسُنت أفهامهم وقصودُهم، وهم أهلُ الصراط المستقيم الذين أمِرنا أن نسأل اللهَ أن يهدِيَنا صراطَهم في كلِّ صلاة. وصحَّةُ الفهم نورٌ يقذِفه الله في قلبِ العبد، يميّز به بين الصحيحِ والفاسد والحقِّ والباطل والهدى والضّلال والغيِّ والرشاد "، ثمّ قال – / –: " ولا يتمكَّن المفتِي ولا الحاكمُ من الفتوى والحكمِ بالحقّ إلا بنوعين من الفهم، أحدهما: فهمُ الواقع والفِقه فيه، والثاني: فهمُ الواجب في الواقع، وهو فهمُ حكم الله الذي حكَم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقعِ، ثمّ يطبِّق أحدَهما على الآخر "، إلى أن قال – / –: " ومَن تأمَّل الشريعةَ وقضايا الصحابةِ وجدها طافحةً بهذا، ومَن سلك غيرَ هذا أضاع على الناس حقوقَهم، ونسبَه إلى الشريعةِ التي بعَث الله بها رسولَه " انتهى كلامُه – / – " [٥].

---

(١) أخرجه الدار قطني في سننه: ٢٠٦/٤، ٢٠٧، والبيهقي في السنن الكبرى: ١١٩/١٠، ١٥٠، وانظر: منهاج السنة لابن تيمية: ٧١/٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد، رقم الحديث (٣٠٤٧) بنحوه.

(٣) أخرجه البخاري، في كتاب: المناقب، حديثى رقم (٣٦٥٤، ٣٩٠٤)، ومسلم في: فضائل الصحابة، حديث رقم (٢٣٨٢).

(٤) أخرجه البخاري في: الوضوء، حديث رقم (١٤٣)، ومسلم في: فضائل الصحابة، حديث رقم (٢٤٧٧).

(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن القيم: ٨٧/١، ٨٨، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط: دار الجيل، بيروت ١٩٧٣م.

الشاهد أنَّ معرفة المرء بطريقة التعامل مع نصوص الوحي كتاباً وسنَّة تقيه بإذن الله – ﷻ – من الانحراف الفكري، والتخبط العقلي، ولتكون نصوص الوحي منطلقاً وركيزة متينة لمناقشة الوقائع والحوادث المعاصرة، واستنباط ما يفيد لمعالجتها من كتاب الله وسنَّة رسول الله – ﷺ – وفق القواعد الشرعية والأصول الكبرى لفهم نصوص الوحيين.

ثالثا: الأساليب العملية لعلاج الانحراف الفكري :

أولا: الحكم بما أنزل الله في جميع جوانب الحياة:

لا ريب أن الحكم بما أنزل الله في جميع جوانب الحياة يحقق للمجتمع صلاحا في عقيدته، وتحقيقا لإيمانه قال تعالى: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } (١).

فالمجتمع المحكوم بشرع الله أقرب إلى التمسك بالدين والمحافظة عليه والتمسك بثوابته، وعدم الانحراف عنه، وكلما كان المجتمع محكوما بالشرع متحاكما إليه، قلت فيه دواعي الانحراف وأسبابه. وإن كان ذلك لا يختفي مطلقا، ولكن تكون نسبته أقل، كما هو الشأن في عصر علي – ﷺ – حيث ظهرت الخوارج والرافضة، مع أن المجتمع كان محكوما بالشرع ومتحاكما إليه. إذ المجتمع المسلم المحكوم بالشرع لا يسمح بالدعوة إلى العقائد الضالة والمذاهب المنحرفة، والفكر المناوئ للحق والمعادي له، فيقل تبعا لذلك من يبحث عنها ويعتنقها. وكذلك مصادر هذه الأفكار والعقائد تكون معدومة أو لا يتسع نطاق تداولها فيقل تبعا لذلك التأثر بها.

ثانيا: القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يتصور بعض الناس أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يختص بالأمور

---

(١) سورة النساء الآية (٦٥).

العملية، وهذا فهم قاصر لهذا المبدأ العظيم، ففي مجال العقيدة والفكر للأمر والنهي مجاله، فقد ورد النهي عن التفكر في ذات الله، وورد النهي عن الاستمرار في التساؤل عن الخلق، في حديث عروة بن الزبير قال أبو هريرة – ﷺ – قال رسول الله – ﷺ –: « يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك، فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته »[(١)]، وهذا دليل على أن جانب الاعتقاد والفكر يتناوله الأمر والنهي، ولذا فإن انتشار الأمر بالحق والنهي عن الباطل من المعتقدات والأفكار يقلل من الانحراف عن الحق والتأثر بالباطل وأهله. ومما يدخل في ذلك النهي عن القراءة في كتب الباطل والضلال، ولا سيما من قبل من يخشى عليهم التأثر بها ممن قل علمه وتمييزه. وقد نهى الأئمة عن كل ما يؤدي إلى فساد الاعتقاد وضلال الفكر، ومن ذلك نهي الأئمة عن علم الكلام. ومخالطة أهل البدع والضلالات.

فالعمل بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو سبيل المؤمنين، وهو سفينة النجاة للمجتمع المسلم من الانحراف بأنواعه بإذن الله.

والعناية بتدريس العقيدة الإسلامية القائمة على التوحيد الخالص من شوائب الشرك والبدع والخرافات، وتعميق وترسيخ هذه العقيدة بشتى السبل العلمية لأن المسلم ذا العقيدة الصحيحة سد منيع أمام دعاة الانحراف الفكري، ومنهم دعاة التنصير وغيره من العقائد الفاسدة، ومما يؤكد ذلك في الواقع أن المنصرين في دول الخليج بالرغم مما بذلوه من جهود وأموال ووقت طويل في محاولات التنصير، لم ينجحوا في تنصير عدد يكافئ الجهود التي بذلوها والمال الذي أنفقوه، إذ يذكر المؤرخون المتابعون لحركة التنصير أنه لم يتنصر في منطقة الخليج بأسرها سوى أربعة أشخاص، غير أن أحد الباحثين في هذا المجال ذكر عددا أكبر لمن تنصروا في البحرين وحدها منذ بداية عمل المنصرين فيها في

(١) رواه البخاري، في كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، حديث رقم (٣٠٣٤).

نهاية القرن الثالث عشر الهجري إلى وقت كتابة البحث عام ١٤١٤هـ حيث ذكر سبعة عشر فردا بين نساء ورجال غير أن معظمهم من اللقطاء الذين ربتهم الكنائس وهم صغار، وبعضهم من النساء الجاهلات الفقيرات جدا احتجن لمعونة المنصرين وتابعنهم على دينهم [١] .

ثالثا: منع المبطلين من نشر مذاهبهم الضالة وعقائدهم المنحرفة والتحذير منها والرد على أصحابها:

لا ريب أن من عوامل سلامة المجتمع المسلم من الانحراف الفكري، سلامته من دعاة الضلال والانحراف، ذلك أن وجودهم وكثرتهم وإتاحة الفرصة لهم لنشر ضلالاتهم وانحرافاتهم مؤذن بالخطر، وقد حذر النبي - ﷺ - منهم ووصفهم بأنهم دعاة على أبواب جهنم. فمنعهم من نشر مذاهبهم المنحرفة وآرائهم المشككة، وشبهاتهم المضللة من أعظم العون على الثبات على الحق. وإن كان هذا يكاد يكون شبه معدوم في هذا الوقت الذي تكالبت مضلات الفتن على المجتمعات المسلمة من داخلها وخارجها عبر القنوات الفضائية المتعددة والمتنوعة. وهو ما تعتذر به الجهات المسئولة في البلدان المحافظة وتنفي به إمكان المنع أو السيطرة. غير أننا نلاحظ أنه حينما يكون الأمر متعلقا بمؤثر سياسي فإن أمر المنع والحجب يتيسر بكل سهولة[٢] ولعل من طرق نشر البدع والضلالات في هذا الوقت عبر القنوات الفضائية، البرامج الحوارية التي تستهدف جذب المشاهدين وإثارتهم عن طريق " المناظرة في قضية ما بين اتجاهين متعاكسين في المبدأ والفكر والرأي، حيث يؤتى بسني وبدعي، وإسلامي وعلماني، فتلقى الشبه على الناس على شكل حوار يخيل للمشاهد أنه مثمر هادف يثري المشاهد بالمعلومات والمعارف، فيشككون في العقيدة والشريعة بطريقة

---

(١) التنصير في البحرين: إبراهيم الخدري: ٢/٤٢٠، ٤٢٣، مجلة البحوث الإسلامية: ٧٧/٣٢٩.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية: ٧٧/٣٣٣.

عجيبة ملتوية، فيها إثارة واستمتاع للمشاهد.

وليست الخطورة في هذا الأمر، فإن الذرة لا تجر الصخرة، والحق لا يخشى الباطل بل يدمغه فإذا هو زاهق، ولكن البلية والرزية تكمن في أمور وراء ذلك، من أدركها وعلم غورها أدرك خطورتها. فمن ذلك: أن الشخصية الإسلامية المختارة قد تكون ليست مؤهلة شرعيا لهذه المناظرة فينقصها العلم بالشريعة أصولا وفروعا، وينقصها العلم بحال المناظر ومعرفة زيف معتقده وضلال منهجه، وقد تفتقر هذه الشخصية إلى الفصاحة والبيان والحجة الدامغة(١)، وقد كان السلف ينهون عن المناظرة، إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل(٢)، ويشتد الأمر خطورة في أنه قد يواجه شخصية منحرفة متمرسة على إلقاء الشبه، وتجيد فن المراوغة واللعب بالألفاظ. قال علي بن حرب الموصلي: كل صاحب هوى يكذب ولا يبالي(٣) .

رابعا: بيان وكشف العقائد والمذاهب الباطلة والأساليب المسببة للانحراف الفكري والتصدي لها:

يعد التحصين الفردي تجاه صور الانحراف الفكري ووسائله ومسبباته أهم سبل الوقاية من الانحراف، وكما سبقت الإشارة لذلك فيما مضى.

ولعل من سبل التحصين المؤثرة الفاعلة دحض الضلالات الفكرية، وكشف الشبهات وتعرية المذاهب الباطلة، وكشف ريف العقائد الضالة. وذلك ببيان لا يدع شبهة إلا كشفها، ولا حجة إلا أجاب عنها. ولنا في كتاب ربنا القرآن الكريم أسوة فقد حكى العقائد الضالة وبين المذاهب الباطلة، ودحض حججها، وكشف زيفها(٤).

---

(١) اتجاهين متعاكسين: مبارك عامر بقنة، مجلة البيان، عدد ١٤٠ ص ١٢٨.

(٢) درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية: ١٧٣/٧، تحقيق: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الثانية ١٤١١هـ.

(٣) التنكيل لما في تأنيب الكوثري من الأباطيل: عبد الرحمن المعلمي: ٤٤/١، ط: المكتب الإسلامي، ط: الثانية .

(٤) مجلة البحوث الإسلامية: ٣٣٥/٧٧.

خامسا: التصدي لوسائل التأثير الفكري النظرية والعملية:

والوسائل التي تتم بها عملية التأثير الفكري السلبي متنوعة، ومتعددة، ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

الأول: وسائل التأثير النظرية والمقصود بها الكتب والنشرات والصحف والمجلات.

والثاني: وسائل التأثير العملية: والمقصود بها تحرك المبطلين للدعوة لمذاهبهم عمليا عبر الاتصال الشخص والحوار والجدل والتدريس وغير ذلك من الوسائل كالتطبيب وأعمال الإغاثة.

ويمكن التصدي لهذه الوسائل بالأمور الآتية:

١- توسيع النشاط الإعلامي الإسلامي عن طريق طباعة الكتب والأشرطة والكتيبات والنشرات بشتى اللغات ولكافة الطبقات والمستويات وفي جميع الموضوعات بل وشراء واستئجار الإذاعات والتلفزة للدعوة لدين الإسلام.

٢- تأسيس الكليات والمعاهد والمدارس الأهلية الخيرية التي تعنى بالتربية الإسلامية ولا سيما في البلاد التي تفتقد ذلك وإعداد الأجيال إعدادا صحيحا وتخريج الدعاة إلى الله تعالى مع العناية بالمستوى العلمي والأكاديمي الذي تظهر به هذه المدارس. إن من الملاحظ أن الكثير من أولاد الأكابر والمسئولين يذهبون إلى الكليات والجامعات والمدارس الأجنبية في كثير من بلاد المسلمين بحجة أن هذه المدارس أكثر كفاءة وأنها تتوفر فيها الوسائل التعليمية والمختبرات ووسائل الترفيه ما لا يتوفر في غيرها وهذه الأمور ليست حكرا على طبقة بعينها بل يمكن أن تتوافر في مدارس إسلامية خيرية أهلية وتكون محاضن لأولاد المسلمين.

٣- توعية المبتعثين للدراسة أو العمل في الدول النصرانية بالمخاطر الدينية والفكرية المتوقعة ووسائل أهل الأهواء في نشر مذاهبهم[١].

---

(١) انظر: التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته: على إبراهيم النملة، ط: الثانية، الرياض ١٤٢٤هـ.

رابعا: التطبيقات العملية للوقاية من الانحراف الفكري في تاريخ المسلمين:

أولا: في عهد النبي – ﷺ –:

يرى بعض الباحثين أن الانحراف الفكري بين المسلمين لم يظهر في عهد النبي – ﷺ – لسببين رئيسين:

الأول: انعزال المسلمين في مبدأ الدعوة عن غيرهم من المجتمعات والشعوب غير العربية.

وثانيهما: أن الرسول – ﷺ – كان لا يزال بين ظهراني المسلمين، وله من الصلة بربه ومن قوة شخصيته الكريمة، ما يجعل كلمته القاطعة وقوله الفصل، فكان كلما رأى من بعض أصحابه ميلا إلى التعمق أو البحث في متشابه القرآن نهاهم عن ذلك وبين لهم أن الهلاك في الدين إنما هو السير وراء هذا النوع من الإيمان.

ومع ذلك فقد حذر النبي – ﷺ – من أسباب ومظاهر الانحراف الفكري، ولا سيما في المناسبات التي تقتضي ذلك، ومن تلك المظاهر التي حذر منها:

أ- الغلو الذي نهى عنه النبي– ﷺ – بقوله: « أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين »[١]، وهذا النهي عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال[٢].

ونهى رسول الله – ﷺ – عن الغلو فيه خاصة ورفعه فوق منزلته – ﷺ – كما فعلت النصارى بعيسى– عليه السلام –، فقد روى البخاري أن رسول الله – ﷺ – قال: « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »[٣].

قوله: « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم » الإطراء: مجاوزة

---

(١) رواه مسلم: ٢/٩٤٤، والنسائي: ٥/٢٦٨، وأبو داود: ٢/٤٣٥.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية: ٢/١٠٦.

(٣) الجامع الصحيح، كتاب: الأنبياء، باب: واذكر في الكتاب مريم: ٤/١٤٢.

الحد في المدح والكذب فيه. قاله أبو السعادات وقال غيره: لا تطروني بضم التاء وسكون الطاء المهملة من الإطراء أي: لا تمدحوني بالباطل أو لا تجاوزوا الحد في مدحي.

قوله: « إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »[١] أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية، وإنما أكد النبي – ﷺ – على هذا النهي في أكثر من موضع ومقام لما علمه في هذا الإطراء من وسيلة وطريق للغلو.

ب- ونهى أن يصلى إلى القبر، أو يتخذ مسجدا، أو عيدا، أو يوقد عليه سراج.

ج- نهيه – ﷺ – عن طلب الحق من المصادر المخالفة.

ثانيا: في عهد الخلافة الراشدة:

سار الخلفاء الراشدون على النهج النبوي في العناية بحماية المجتمع المسلم من أسباب ومظاهر الانحراف الفكري، وقد تجلى ذلك بصور خاصة في بعض الفترات والوقائع التي يحدث فيها شيء من ذلك، وسوف أستعرض بعض النماذج في عهد الخلافة الراشدة باعتبارها أمثلة دالة على غيرها.

في عهد أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –: تعتبر حروب الردة نموذجا عمليا ظاهرا على عناية الخليفة الراشد الأول بمحاربة ظواهر الانحراف الفكري، حيث تصدى لهذه الظاهرة الخطيرة التي هي الردة بكل حزم وحسم، ولم يتردد في الأمر بالرغم من المخاطر التي كانت تحيط بدولة الإسلام آنذاك.

قال محمد بن إسحاق: ولما توفي رسول الله – ﷺ – ارتدت العرب واشرأبت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم حتى جمعهم الله على أبي بكر – رضي الله عنه – [٢].

---

(١) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، حديث رقم (٣٤٤٥).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٦٥/٢. ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الثانية ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م.

في عهد عمر – ﷺ –: وقد سار الخليفة الثاني على منهج النبي – ﷺ – وأبي بكر – ﷺ – في الاهتمام بحماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري، وأسبابه، ومن صور عنايته بذلك قصته مع صبيغ بن عسل الذي كان يثير بعض الشبهات بأسئلته عن متشابه القرآن، إذ قدم المدينة وأخذ يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر فأعد له عراجين النخل فقال: من أنت ؟

قال: أنا عبد الله صبيغ قال: وأنا عبد الله عمر، فضربه حتى آدمى رأسه فقال حسبك يا أمير المؤمنين قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي. أخرجه ابن الأنباري من وجه آخر عن يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد عن عمر بسند صحيح وفيه فلم يزل صبيغ وضيعا في قومه بعد أن كان سيدا فيهم، قلت وهذا يدل على أنه كان في زمن عمر رجلا كبيرا، قال أبو أحمد العسكري اتهمه عمر برأي الخوارج (١).

وقد علق شيخ الإسلام ابن تيمية على قصة عمر – ﷺ – مع صبيغ بقوله: " وقصة صبيغ بن عسل مع عمر بن الخطاب من أشهر القضايا فإنه بلغه أنه يسأل عن متشابه القرآن حتى رآه عمر فسأل عمر عن الذاريات ذروا فقال له عمر ما اسمك؟ قال: عبد الله صبيغ فقال: وأنا عبد الله عمر، وضربه الضرب الشديد، وكان ابن عباس إذا ألح عليه رجل في مسألة من هذا الجنس يقول: ما أحوجك أن يصنع بك كما صنع عمر بصبيغ، وهذا لأنهم رأوا أن غرض السائل ابتغاء الفتنة لا الاسترشاد والاستفهام " (٢).

ويمكن أن يستفاد من فعل هذا الخليفة الراشد الذي أمرنا باتباع سنته شأنه شأن الخلفاء الراشدين الثلاثة، أن لولي الأمر المسلم الحق أن يمنع من يخشى أن

---

(١) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني: ٤٥٩/٣، تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ، وسنن الدارمي: ٦٦/١.

(٢) مجموع الفتاوى: ٣١١/١٣.

يحدث قوله وفكره انحرافا فكريا على المسلمين وربما كان من أسباب استقرار المجتمع المسلم في عهد هذا الخليفة الراشد وعدم وجود حركات الخروج والتمرد والانحراف الفكري، هو شدة عمر – ﷺ – في الحق وتلافيه لبوادر هذه الشرور من بداياتها.

وأما في عهد عثمان – ﷺ –: فقد كان يعاقب من يظهر شيئا من المخالفة أو الانحراف عن المنهج السوي، بالنفي عن المكان الذي حصل فيه الخطأ فيه، ولم يذكر في عهده – ﷺ – من الحوادث ما يلفت النظر من جهة الانحراف الفكري، كالردة أو البحث عن المتشابه والتشكيك في القرآن، لكن كانت بدايات الانحراف عن السنة في الموقف من الأمراء، حيث أثار السبئيون بعض الناس على عثمان – ﷺ – فكان يعالج الموقف بحكمته وصبره وعفوه، ولم يبدأ في عقاب أحد ممن عرف بشيء من ذلك قبل أن يظهر منه فعل يوجب العقوبة.

في عهد علي – ﷺ –: برز في واقع المسلمين انحرافان عقديان بارزان هما: انحراف الخوارج، وانحراف الشيعة.

فواجه علي – ﷺ – هذين الانحرافين بما يليق بهما من المواجهة المناسبة، إذ واجه الخوارج أول الأمر بالحوار والجدال بالتي هي أحسن، حين أرسل ابن عمه عبد الله بن عباس – ﷺ – لمناقشة شبهات الخوارج في خروجهم على أمير المؤمنين وتكفيرهم له، فكان نتيجة هذا الحوار رجوع أربعة آلاف منهم إلى جادة الحق. ويعد مثل هذا العمل إنجازا عظيما في مكافحة الغلو، وكان لقدرة عبد الله بن عباس، وعلمه الغزير، وذكائه، الأثر الكبير في هذا التحول من الغلو إلى الاعتدال وجادة الصواب(١).

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية: ٧٧/٣١٠.

معالجة غلو الشيعة:

وأما انحراف الشيعة فكان متفاوتا في درجاته، فعالج علي - ﷺ - كل انحراف منها بما يناسبه، فعالج دعوى بعضهم في تفضيله على أبى بكر وعمر بجلد من يقول بذلك، وأعلن بهذه العقوبة في الناس فقال: (لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته الحد).

وأما الذين زعموا أنه ربهم فقد قتلهم حرقا بالنار بعد إصرارهم على هذا الانحراف.

فقد ذكر ابن حجر في الفتح عن أيوب عن عكرمة قال: أتي علي بزنادقة فأحرقهم.

ولأحمد من هذا الوجه أن عليا أتي بقوم من هؤلاء الزنادقة ومعهم كتب فأمر بنار فأججت ثم أحرقهم وكتبهم [١] .

(١) فتح الباري لابن حجر: ١٥٦/٦، وانظر: مجلة البحوث الإسلامية: ٣١١/٧٧.

ثالثا: نماذج من التطبيقات العملية من قبل الأئمة المجددين من السلف:

الأئمة الأربعة:

تفاوت النقل عن الأئمة الأربعة في مجال تصديهم لمظاهر الانحراف الفكري، تبعا لدرجة الانحراف الذي عايشه كل إمام، ونوعه واستمراره أو عدم استمراره، ولذا نجد الآثار المنقولة عنهم في هذا المجال متفاوتة. ولهذا سيكون الحديث في هذا المبحث عن الإمامين مالك والشافعي.

ولتكن البداية بإمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس الأصبحي – / –: فقد اشتهر عن هذا الإمام حزمه وإنكاره الشديد لأي انحراف في العقيدة، حتى لو ظهر بمظهر السؤال البريء، وربما كان سبب ذلك معرفة الإمام بأن إثارة مثل هذه الأسئلة ينبئ عن انحراف عقدي، أو أن السؤال إنما قصد به التشكيك [١]. وكان كثير التأكيد على المسائل الفكرية التي يظهر انحراف عن الاعتقاد الصحيح فيها، فمثلا حين كثر خوض الرافضة في حق الصحابة – ﷺ – قال مالك: من تنقص أحدا من أصحاب رسول الله – ﷺ – أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين ثم تلا قوله تعالى: { مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ } [٢]، حتى أتى قوله: { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا } [٣]، فمن تنقصهم أو كان في قلبه عليهم غل فليس له في الفيء حق [٤].

الإمام الشافعي وجهوده في حماية المجتمع من الانحراف الفكري:

فقد كان موقف الشافعي – / – كغيره من أئمة السنة قويا تجاه مظاهر الانحراف الفكري مهما كانت درجتها، مع التعامل مع كل حالة بما يناسبها، فكان

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية: ٣١٣/٧٧.

(٢) سورة الحشر الآية (٦).

(٣) سورة الحشر الآية (١٠).

(٤) مجلة البحوث الإسلامية: ٣١٣/٧٧.

– / – شديدا على أهل الكلام لما يرى من أثرهم السيئ على الأمة في اعتقادها، قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: المراء في الدين يقسي القلب ويورث الضغائن.

وقال صالح جزرة: سمعت الربيع يقول: قال الشافعي: يا ربيع، اقبل مني ثلاثة: لا تخوضن في أصحاب رسول الله – ﷺ – فإن خصمك النبي– ﷺ – غدا، ولا تشتغل بالكلام فإني قد اطلعت من أهل الكلام على التعطيل، وزاد المزني: ولا تشتغل بالنجوم .

جهود شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري:

وبعد أن استعرضت جانبا من جهود الأئمة الأربعة في مواجهة الانحراف الفكري وحماية المجتمع منه، أتحدث عن علم آخر في فترة بعيدة عن عصر أولئك الأئمة فترة تتسم بظهور مكثف للعديد من مظاهر الانحراف الفكري وهو القرن الثامن الهجري، وعن علم بارز في هذا المجال هو شيخ الإسلام: أحمد ابن عبدالسلام بن تيمية، الذي ظهرت جهوده بارزة في مواجهة الانحراف الفكري نظرا لسعة مجال هذا الانحراف وتعدد صوره، وبعد الفترة الزمنية بين عصره وعصر النبوة، مما أدى إلى فشو كثير من مظاهر الانحراف، لهذا كانت جهود شيخ الإسلام في مكافحة مظاهر الانحراف واسعة متعددة بتعدد تلك المظاهر: انحراف الفلاسفة، انحراف أهل الحلول والاتحاد، انحراف غلاة الصوفية.

فقد كشف – / – جوانب الانحراف لدى الفلاسفة المنتسبين للإسلام، وبين أخطاءهم وحذر من معتقداتهم المخالفة.

وكان له كتب ورسائل في هذا المقام منها: درء تعارض العقل والنقل، ومنها: الرسالة التدمرية، وتجربة شيخ الإسلام في مواجهة الانحراف الفكري جديرة بالتدبر والاعتبار فهي تقارب هذا الزمن من جهة السماح لكل مبتدع ومبطل بالحديث عن العقيدة والطعن بما يريد [١].

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية: ٧٧/٣١٤، ٣١٥.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

واجه الشيخ محمد بن عبد الوهاب واقعا فيه انحراف عقدي تتفاوت درجاته من بلد لآخر، وقد كان جهده المشكور وعمله المشهود في حماية المجتمع من مظاهر الانحراف الفكري واضحا ملموسا، إذ أدرك رحمه الله أهمية النصرة السياسية للدين وأهله، فحرص على أن يكون معه في الدعوة صاحب ولاية ينصره للقيام بالدعوة وما تتطلبه.

ونجح أول الأمر في العيينة وقام بأعمال ملموسة لحماية المجتمع من مظاهر الانحراف الفكري ومن ذلك إزالة المشاهد التي يحدث عندها صور من الغلو.

والمتأمل في منهج الشيخ تتضح له حكمته وبعد نظره حيث حرص على وجود سلطة تدعم الدعوة وتؤيدها [١].

وأما جهود الشيخ في مواجهة الانحراف الفكري فأشهر من أن تذكر ولكن سألخص طرفا منها فمن ذلك:

أ- اعتناؤه بتأليف كتاب يعنى بتصحيح تلك الانحرافات السائدة في البيئة التي وجه الدعوة إليها.

ب- عنايته في التعليم والدعوة بالتوحيد وتصحيح العقيدة.

ج- حرصه الشديد على إيجاد طلبة علم، يقومون بتبليغ العلم والدعوة.

د- عنايته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ه- إزالته للمشاهد الشركية، ومواجهته الحازمة لأي انحراف فكري وتصديه له، وكشفه، ورد شبهات أهله.

و- قوة حجته وحسن جداله بالحق مع المخالفين للعقيدة الصحيحة [٢].

---

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية: ٧٧/٣١٥.

(٢) انظر: مجلة البحوث الإسلامية: ٧٧/٣١٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وتحقق المطلوب من الأمنيات، فسأله سبحانه أن يجعل آخر أعمالنا خواتيمها، وأن يجعل آخر أعمارنا أواخرها.

وبعد؛؛؛

فهذه خاتمة الدراسة التي تناولت موضوع: الانحراف الفكري وأثره على الفرد والمجتمع ووسائل الوقاية منه، وقد توصلت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

١- تميز المنهج القرآني والسنة النبوية في عملية المجتمع المسلم بالشمول المتمثل بتأصيل العقيدة الصحيحة لتأسيس الفكر السليم، وكشف الشبهات. ففي القرآن الكريم والسنة المطهرة الحصن الحصين للمسلمين من الانحراف الفكري، فعلى المختصين بالدراسات الجهد في استخراج الدرر والعظات منها لعلاج ما يستجد من أحداث ومشكلات في واقع حياة المسلمين. فالعقيدة الصحيحة ينبغي أن تكون بمثابة الدرع الواقي لزرعها في نفوس الشباب لتحصنهم على ثبات فكري وسلوكي وخلقي وفق ما أراد الله - ﷻ -.

٢- أن وسائل الإعلام سلاح ذو حدين فيما يتعلق بالأمن الفكري، ولذا على المصلحين أن يحسنوا استخدامها، ويطوروا أساليبها لتحصين الشباب من الانحراف الفكري.

٣- أن عملية التربية بدورها المختلفة هي الحاضنة التي تنشأ فيها المبادئ وتترسخ، ولذلك لابد من إطلاق مشروع علمي داخل المجتمعات المسلمة لتأهيل الأمناء والمعلمين والخطباء والدعاة عموماً، تأهيلهم فكرياً وعقدياً وتبصيرهم بمهامهم وتدريبهم على القيام بها.

٤- أن للشباب الدور الأبرز والأنجع لأنهم في مستهل الشباب، واغتصاب عقولهم، وتقويم أفكارهم، ولذلك لابد من تمكين المصلحين من القيام به وإجادته.

٥- أن الفهم الصحيح لمسائل الدين الحنيف ووسطيته وعدم الغلو في أمره ثمرة قلوب تفقه أهم الحق لتحقق لأن الفكري؛ وذا لابد من شروطها والاهتمام بها.

وفي ختام سؤال الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به كل طالب حقيقة وعلم سديد.

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الغر المحجلين

فهرس المصادر والمراجع

** القرآن الكريم (جل من أنزله).

١. الاتجاهات الفكرية المعاصرة: د/ جمعة الخولي، ط: الأولى ١٤٠٧هـ.

٢. أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: عبد الله ابن عبدالرحمن الجربوع، ط: الأولى، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عمادة البحث العلمي ١٤٣٢هـ ٢٠٠٣م .

٣. الأخلاق: د/ أحمد أمين، ط: دار الكتب المصرية بالقاهرة ط: الثالثة ١٩٣٦م.

٤. أدب الاختلاف في الإسلام: د/ طه جابر فياض العلواني، ط، الدار العالمية للكتاب الإسلامي – الرياض .

٥. الإرهاب والشباب: محمد يسري دعبس، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ١٩٩٦م.

٦. الإرهاب: أحمد شلبي وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م.

٧. استراتيجية تعزيز الأمن الفكري: متعب بن شديد بن محمد الهماش، دراسة مقدمة للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري تحت شعار (المفاهيم والتحديات) بجامعة الملك سعود ممثلة في كرسي الأمير نايف بن عبدالعزيز لدراسات الأمن الفكري في الفترة ٢٢ – ٢٥ جماد الأول لعام ١٤٣٠هـ .

٨. الاستقامة: ابن تيمية، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد ابن سعود، المدينة المنورة، ط: الأولى ١٤٠٣هـ.

٩. الأسرة ودورها في وقاية أبنائها من الانحراف الفكري: أحسن مبارك طالب، مركز الدراسات والبحوث بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، (١٤٢٦هـ)،

١٠. الإسلام والشباب: محمد الزحيلي، دار القلم، دمشق ١٤١٤هـ.

١١. إسهامات المسجد في مواجهة الانحرافات الفكرية والخلقية من منظور التربية الإسلامية: حسن بن يحي بن جابر ضامري – رسالة ماجستير – جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

١٢. الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ.

١٣. أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع: عبد الرحمن النحلاوي، ط: دار الفكر، الطبعة الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .

١٤. الاعتصام: أبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: محمد رشيد رضا، ط: دار المعرفة، بيروت ١٤٠٢هـ.

١٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله (المعروف بابن القيم الجوزية)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الجيل، بيروت ١٩٧٣م.

١٦. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢هـ.

١٧. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، ط: الرابعة ١٤١٤هـ.

١٨. الانحراف الفكري ومسؤولية المجتمع: علي بن فايز الجحني، حولية كلية المعلمين في أبها، العدد ١٢، كلية المعلمين في أبها، جامعة الملك خالد ١٤٢٩هـ.

١٩. الانحراف الفكري: راشد الدوسري، بحث بجامعة الملك سعود بالرياض ١٤٢٩هـ.

٢٠. التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، الدار التونسية ١٩٨٤م.

٢١. التخطيط الاستراتيجي لتحقيق الأمن الفكري بالمملكة العربية السعودية: سعيد علي حسن القليطي، دراسة مقدمة للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري تحت شعار (المفاهيم والتحديات) بجامعة الملك سعود ممثلة في كرسي الأمير نايف بن عبدالعزيز لدراسات الأمن الفكري في الفترة ٢٢ – ٢٥ جماد الأول لعام ١٤٣٠هـ.
٢٢. التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع: الأستاذ/ عبدالرحمن النحلاوي، ط: دار الفكر بدمشق.
٢٣. التطرف والإرهاب: أحمد شوقي الفنجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م.
٢٤. تفسير البيضاوي: عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤٠٨هـ.
٢٥. تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط: الرابعة ١٤١٨هـ .
٢٦. تفسير روح البيان: إسماعيل حقي (ت ١١٢٧هـ)، ط: دار الفكر، بيروت.
٢٧. تفسير مقاتل بن سليمان، دار إحياء التراث، ط: الأولى ١٤٢٣هـ.
٢٨. التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته: على إبراهيم النملة، ط: الثانية، الرياض ١٤٢٤هـ .
٢٩. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل: عبد الرحمن المعلمي، المكتب الإسلامي، ط: الثانية.
٣٠. تهذيب اللغة: الأزهري، دار القومية العربية للطباعة ١٣٨٤هـ.
٣١. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط: الأولى ١٤٢٣هـ.

٣٢.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن سعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٠هـ.
٣٣.الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، دار الكتب المصرية، ط: الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م .
٣٤.الجواب الكافي: ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار ابن الجوزي، ط: الثانية ١٤١٧هـ.
٣٥.درء تعارض العقل والنقل: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الثانية ١٤١١هـ.
٣٦.رعاية الأحداث المنحرفين في المملكة العربية السعودية: عبدالله بن ناصر السدحان، مكتبة العبيكان، الرياض ١٤١٧هـ.
٣٧.الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام: السهيلي، دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .
٣٨.السنة: أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، تحقيق: باسم الجوابرة، دار الصميعي، الرياض، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٨٨م.
٣٩.السيرة النبوية: ابن هشام، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الثانية ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م.
٤٠.السيرة النبوية: لإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٩٦هـ ١٩٧١م.
٤١.شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز، تحقيق: جماعة من العلماء، وتخريج الشيخ الألباني، المكتب الإسلامي، ط: التاسعة ١٤٠٨هـ.
٤٢.صحيح البخاري، ط: دار ابن كثير، واليمامة، ط: الخامسة ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
٤٣.صحيح مسلم، ط: دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .

٤٤.صراع مع الملاحدة: عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، ط: الخامسة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .
٤٥.الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: ابن القيم، تحقيق: علي الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط: الثالثة ١٤١٨هـ.
٤٦.العبودية: شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الأصالة، مصر، ط: الثانية.
٤٧.الغلو في الدين في حياة المسلمين: عبدالرحمن اللويحق، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .
٤٨.فتح الباري بشرح صحيح البخاري: الحافظ ابن حجر، دار الريان للتراث، القاهرة، ط: الأولى ١٤٠٧ هـ.
٤٩.الفرق بين الفرق: الإمام عبد القاهر البغدادى، تحقيق: محمد محى الدين عبدالحميد، ط: مكتبة دار التراث، القاهرة.
٥٠.فقه الدعوة: د/ جمعة علي الخولي، ط، المكتبة التوفيقية، ط: الأولى، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م، القاهرة.
٥١.القاموس المحيط: الفيروزآبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ.
٥٢.لسان العرب: ابن منظور، دار صادر بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ .
٥٣.مجلة الأمن والحياة، إعلامية، أمنية، ثقافية، العدد ٢٨١ السنة الخامسة والعشرون، شوال ١٤٢٦هـ نوفمبر، ديسمبر ٢٠٠٥م،
٥٤.مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
٥٥.مجلة البحوث الأمنية، مجلة دورية، علمية، محكمة، تصدر عن مركز البحوث والدراسات بكلية الملك فهد الأمنية، المجلد ١٥، العدد ٣٤، شعبان ١٤٢٧هـ سبتمبر ٢٠٠٦م.

٥٦.مجلة البيان، عدد ١٤٠.
٥٧.مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بترقيم الشاملة آليا .
٥٨.مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٨٧، ذو القعدة ١٤١٨هـ مارس ١٩٩٨م.
٥٩.مجمع الزوائد: الهيثمي، مكتبة المقدسي، القاهرة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .
٦٠.مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم النجدي وابنه محمد، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض ١٤١٢هـ .
٦١.المحاسن والمساوئ: إبراهيم البيهقي، ط دار صادر، بيروت.
٦٢.محاضرات الأدباء: الراغب الأصفهاني، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٠هـ .
٦٣.المدخل إلى الثقافة الإسلامية: د/ خالد بن عبدالله القاسم وآخرون، دار الوطن للنشر، الرياض ١٤٣١هـ .
٦٤.مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث – العلاج الإسلامي ودور الخدمة الاجتماعية فيه: محمد سلامة محمد غباري، المكتب الجامعي، الإسكندرية، ط: الثانية ١٩٨٩م.
٦٥.المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ.
٦٦.المسجد وأثره في تربية الأجيال ومؤامرة أعداء الإسلام عليه: عبد الله قاسم الوشلي، سلسلة نحو النور، رقم ٨، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.
٦٧.مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي، ط: الأولى .
٦٨.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
٦٩.المعجم الفلسفي: جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٨هـ.
٧٠.المعجم الوسيط، قام بإخراجه عدد من العلماء، أشرف على طبعه: عبدالسلام هارون، عن مجمع اللغة العربية، مطبعة مصر ١٣٨١هـ.

٧١.المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ضبط: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى ١٤٢٣هـ.
٧٢.المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: د/ يوسف حامد العالم، ط: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط: الأولى ١٤١٢هـ.
٧٣.مكونات مفهوم الأمن الفكري وطرق حمايته: الباحثة د/ هيا بنت إسماعيل آل الشيخ (ورقة مقدمة للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري تحت شعار (المفاهيم والتحديات) بجامعة الملك سعود ممثلة في كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري في الفترة ٢٢ -٢٥ جمادى الأول لعام ١٤٣٠هـ
٧٤.ملاحق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية (بترقيم الشاملة آليا).
٧٥.الملل والنحل: الشهرستاني، تحقيق: أمير على مهنا وعلى حسن فاعور، ط: دار المعرفة، بيروت، ط: السابعة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
٧٦.منهاج السنة النبوية: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى ٢٠٠١ م .
٧٧.الموطأ: الإمام مالك، تصحيح وترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون رقم طبعة وتاريخها.
٧٨.نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب: المالكي، عبد الحفيظ بن عبد الله بن أحمد؛ الغامدي، محمد بن عبد الله بن حجر مشرف. أطروحة (دكتوراه)، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الشرطية ٢٠٠٦هـ.
٧٩.الوافي بالوفيات للصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
٨٠.وقاية الأولاد من الانحراف من منظور إسلامي، سليمان بن قاسم العيد، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد ٤، العدد ٢٨، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض ١٤٢٠هـ .

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	رقم الصفحة
١	**المقدمة**	١٦٢٣
٢	**المبحث الأول**: التعريف بالانحراف الفكري وأنواعه	١٦٢٦
٣	**المبحث الثاني**: أسباب الانحراف الفكري وعوامل انتشاره	١٦٣٤
٤	**المبحث الثالث**: النتائج و الآثار المترتبة على الانحراف	١٦٤٩
٥	**المبحث الرابع**: وسائل الوقاية وسبل حماية المجتمع من الانحراف الفكري في العصر الحاضر	١٦٦٠
٦	**الخاتمة**	١٧٠٣
٧	**المصادر والمراجع**	١٧٠٥
٨	**فهرس الموضوعات**	١٧١٢

تم بحمد الله